وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـة يحي فارس بالمديـة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

الموضـوع:

النزعة الإصلاحية في الشعر الجزائري الحديث

-حمود رمضان- أنموذجًا

إعداد الطالبين:
- عز الدين بلعربي
- نذير شنوفي

إشراف الأستاذ :
- لخذاري العبزوزي

السنة الجامعية 2020/2019


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قبل كل شيء نحمد الله ونشكره على إعانته وتوفيقه لنا

في إنجاز هذا العمل المتواضع حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا

ونتوجه بعد ذلك بخالص وأصدق عبارات الشكر والثناء

إلى الأستاذ المشرف "لخذاريالعبزوزي"

لإرشاداته ونصائحه القيمة، فجزاه الله خيرًاإلى الطاقم الإداري

لكلية الآداب واللغات عامة

وقسم الأدب العربي خاصة

والشكر الموصول إلى كل من أسدى إلينا

بنصيحة أو معلومة أو مشورة أو توجيه

أو قدم لنا يد المساعدة من قريب أو بعيد

إهداء1

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

ملاكي في الحياة، إلى معن الحب والأمان، إلى بسمة الحياة وستر الوجود، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أمي الحبيبة

إلى من أفنى عمره في سبيل تعليمي، إلى القمر الذي كنت استمد منه أملي وشوقي، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أبي الغالي

إلى جميع إخوتي وأحواتي

إلى من بهم تطيب الحياة أصدقائي "محمد، عبد القادر، أيمن، عقبة، محمد، حسان، حسان، حسان، عاشور، محمد، وليد، خالد، سيد علي"

إلى من قاسمني عناء هذا البحث "نذير"

إلى كل عائلة "بلعربي" و"وزامبية"

إلى كل من يسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي، إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع.

عز الدين

إهداء2

إلى من علمني العطاء بدون انتظار وإلى من

أفنى عمره في سبيل تعليمي، إلى الذي تعب

لأستريح، أبي الغالي أطال الله في عمره.

إلى من هي أقرب إلى قلبي، إلى من أعطتني

الحب والحنان، إلى جوهرتي ومأنسي في الحياة

أمي العزيزة، حفظها الله وأطال في عمرها

إلى كل إخوتي وأخواتي

إلى جميع أصدقائي وزملائي في الدراسة

إلى الذي قاسمني عناء هذا البحث عز الذين

إلى جميع عائلة شنوفي

إلى جميع أحبتي

نذير

مقدمة

لقد شهدت الجزائر في العصر الحديث مجموعة من الأحداث والتطورات خصوصًا من الناحية السياسية، فقد احتلت الجزائر سنة 1830 م من قبل الدولة الفرنسية، ولا يغفل على أحد الحالة المزرية التي عاشتها الجزائر خلال تلك الفترة، فقد سعى المستعمر للقضاء على المقومات والثوابت الوطنية والدينية (الدين، اللغة والعروبة)، إضافة إلى الممارسات القمعية ضد الشعب الجزائري، ما أدى إلى تفقيره وتجويعه وسلب كل حقوقه، ومحاولة القضاء على الكيان الجزائري ككل، وفي خضم هذه التطورات الحاصلة في الجزائر، تفطنت مجموعة من خيري هذا الوطن أين حملوا لواء وهم إصلاح وطنهم ومجتمعهم، ومحاولتهم النهوض بشعبهم، تمثل ذلك فيما يعرف بـ "الحركة الإصلاحية"، هذه الأخيرة التي استخدمت من الشعر وسيلة وأداة للنهوض بالمجتمع، وكسلاح يرفع في وجه العدو الغاشم، ومنه جاء عنوان دراستنا هذه بـ "النزعة الإصلاحية في الشعر الجزائري الحديث" ممثلاً في شعر "حمود رمضان".

واختيارنا لهذا الموضوع لم يكن بمحض الصدفة، فهو راجع لمجموعة من الأسباب والدوافع نذكر من أهمها، أهمية الموضوع في حد ذاته وأيضًا اهتمامنا وميولنا الشخصي للأدب الجزائري عامة والشعر خاصة، أيضًا إلى المكانة الهامة التي حظي بها الشعر في تلك الفترة، إضافة إلى الدور الهام الذي لعبه الاتجاه الإصلاحي في إيقاظ النفوس والضمائر، وسلطنا الضوء على الشاعر "حمود رمضان" باعتباره أحد أكبر رواد الشعر الإصلاحي في الجزائر وما بذله هذا الشاعر في سبيل إصلاح وطنه وشعبه، ونحن بدورنا

طلبة أدب عربي نهتم بمثل هؤلاء الشعراء الشبه مغمورين في وسط الطلبة الجامعيين الجزائريين.

ونحن نطمح من خلال هذه الدراسة أن نكشف عن وظيفة الأدب والشعر في المجتمعات، وعن دوره في الرقي والنهوض بالمجتمعات والأمم من خلال الدعوة والتوجيه والإرشاد، إضافة إلى الكشف عن أهم المحاور والمجالات الإصلاحية التي ركز عليها "حمود رمضان" في شعره، وإماطة اللثام عن شخصية "حمود رمضان" والدور الذي يؤديه الشاعر في التحفيز وإيقاظ الضمائر والنفوس، إضافة إلى إبراز أهم سمات الشعر الإصلاحي عامة وشعر "حمود" خاصة.

وقد تضمن بحثنا هذا مجموعة من التساؤلات، ومن أهمها: ما المقصود بالنزعة الإصلاحية في الشعر، ما هي أهم المحاور والمجالات التي ركز عليها "حمود رمضان" في شعره ؟ ما هي أهم الخصائص التي اصطبغ بها الشعر الإصلاحي؟

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف وإبراز حضور ظاهرة الإصلاح في الشعر الجزائري الحديث، وتبيين أسباب حضورها، واستعنا أيضًا بالمنهج التاريخي في بداية الدراسة وفي موضوع ظهور الحركة الإصلاحية وتطورها، بالإضافة إلى المنهج الموضوعاتي.

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على خطة بحث هي كالآتي:

قسمنا هذه الدراسة إلى مقدمة ومدخل وفصلين، أما المدخل فتحدثنا فيه عن الحركة الإصلاحية وإرهاصات ظهورها في الجزائر وعوامل تطورها وتوسعها.

ثم جاء الفصل الأول وهو الفصل النظري والمعنون بـ "ماهية الشعر الإصلاحي، وقدمنا فيه نظرة عامة عن الاتجاه الإصلاحي في الشعر، وقسمناه بدوره إلى ثلاث مباحث، الأول خصصناه لبيان مفهوم كل من (النزعة لغة) (الإصلاح: لغة) و(النزعة الإصلاحية في الشعر) والقسم الثاني تحدثنا فيه عن أهم خصائص الشعر الإصلاحي وهي اللغة الشعرية والخطابية والتناص. أما المبحث الثاني فكان في محاور ومجالات الشعر الإصلاحي (الاجتماعي، السياسي، الديني) والمبحث الأخير في هذا الفصل فقد خصصناه لثلاثة من أهم شعراء الاتجاه الإصلاحي وهم: عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي ومحمد العيد آل خليفة.

ثم الفصل الثاني وهو القسم التطبيقي والموسوم بـ "النزعة الإصلاحية في شعر حمود رمضان" وقسمناه بدوره إلى ثلاث مباحث، الأول كان لزاماً علينا أن نعرج على حياة الشاعر وتجربته الأدبية، والمبحث الثاني فهو في أهم المحاور والمجالات التي ركز عليها حمود رمضان في دعوته الإصلاحية (المجال الديني، السياسي والاجتماعي)، وكان المبحث الثالث والأخير في أهم سمات الشعر الإصلاحي عند حمود رمضان (الخطابية، اللغة الشعرية، أثر القرآن والثقافة العربية والالتزام).

وقد اعتمدنا على مجموعة من الدراسات حول هذا الموضوع والتي كانت معينًا لنا في إتمام هذه الدراسة نذكر أهمها: كتاب رمضان حمود، حياته وآثاره، لمحمد ناصر، الصادر عن المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الثانية، سنة 1985.

وكتاب حمود رمضان لـ: الخرفي صالح، الصادر عن المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون طبعة، سنة 1985.

وأيضًا بنية الخطاب في شعر الحركة الإصلاحية الجزائرية الشهاب نموذجًا، لخالد أقيس، وهذه رسالة دكتوراه في الأدب العربي الحديث من جامعة منتوري –قسنطينة، سنة 2015-216.

وأيضًا الاتجاه الإصلاحي في شعر "محمد العيد آل خليفة" لـ: عمارة حياة، وهي رسالة ماجستير في الأدب العربي، عن جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان، سنة 2001-2002.

ولابد أثناء إنجاز أي دراسة أن تصادفك مجموعة من الصعوبات، وهذا ما حدث معنا، ونذكر من أهم الصعوبات التي واجهتنا، الأزمة الصحية في البلاد "جائحة كورونا" والآثار الناجمة عنها، فقد

أدت إلى الإغلاق الشامل لجميع المكتبات ودور العلم، إضافة إلى منع التنقل، وهذا ما حال دون التقائنا نحن أصحاب الدراسة، بيننا وبين الأستاذ المشرف وهذا ما زاد من صعوبة البحث.

ضف إلى ذلك قلة المصادر والمراجع المتخصصة في موضوع الشعر الإصلاحي.

ولا يفوتنا في الأخير أن نقدم خالص شكرنا وامتنانا لكل من ساعدنا على إنجاز هذا البحث، خاصة الأستاذ المشرف "العبزوزيلخذاري"، والشكر واصل أيضًا لأعضاء اللجنة المناقشة على صبرها وتحملها عناء قراءة هذا البحث وتقويمه.

فإن أخطأنا فمن أنفسنا، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب.

مدخل

إرهاصات ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر:

تعد الحركة الإصلاحية من بين أهم الحركات التي عرفها الوطن العربي في العصر الحديث، وكان ذلك نتيجة حتمية لما عرفته البلاد العربية من تغييرات وتحويلات، وعلى رأسها احتلال الدول الأوروبية لمجموعة كبيرة من الدول العربية، وما الجزائر إلا واحدة من تلك الدول، وقد شهدت الجزائر كباقي الدول الأخرى حركة إصلاحية واسعة داعية إلى إصلاح الأوضاع في الجزائر، ولكن قبل الخوض في موضوع الحركة الإصلاحية وإرهاصاتها في الجزائر، لا بأس أن نستعرض أوضاع الجزائر في تلك الفترة، وعلى مختلف الأصعدة (دينيًا، اجتماعيً، سياسيًا، وثقافيًا).[1]

فمن الناحية الدينية كانت تعيش الجزائر تخبطًا في هذا الجانب، ووضعًا مزريًا وخطيرًا، وخصوصًا بعد دخول فرنسا الجزائر سنة (1830) وهو أهم ما ميز الجزائر في تاريخها الحديث والمعاصر، وكان من أهم أهداف المستعمر الفرنسي هو القضاء على الدين الإسلامي والعمل على تشويه العقيدة الإسلامية وتزييفها، منتهجة في ذلك مختلف الوسائل والسياسات التي تمكنها من تحقيق أهدافها الخبيثة "فحولت معظم وأغلب المساجد إلى كنائس أو ثكنات عسكرية، وأغلقت الزوايا ودور العلم وشجعت الخرافات والبدع، ورافقتها

[1] ينظر، أحمد العياضي، مطبوعة علمية بعنوان الشعر الجزائري الحديث، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، د س، ص 45.

الحملات التبشيرية والتفسيرية، بالإضافة إلى تشجيع ودعم الطرق الصوفية المنحرفة، وكان ذلك إيمانًا منها بأنه لا يكون هناك استقرار سياسي إلا بإجراء تحويل ديني".[1]

فكل هذه الطرق والوسائل المنتهجة من طرف دولة فرنسا كان لها تأثير سلبي كبير على الحياة الدينية في الجزائر، فظهرت بذلك مختلف مظاهر الفساد الديني، وانتشرت البدع والخرافات، وجهل بعقيدة الإسلام ومبادئه وحقيقته.

أما من الناحية الاجتماعية فقد عانى الشعب الجزائري كثيرًا أثناء فترة الاستعمار الفرنسي فقد "عانى الشعب من الأمراض والفقر، وحلت به نكبات الجسام كالجوائح والزلازل والمجاعات المبيدة... وزاد من حِدّة هذه النكبات ووقعها تجريد الشعب من أملاكه وأرضه وترك أبناءه نهب القضاء يعملون أجراء أو ينتظرون مصيرهم من الظلم تحت رحمة البؤس والبطالة".[2]

وقد عانى الشعب الجزائري من السياسة الاستعمارية المنتهجة في حق الشعب الجزائري كقانون الأهالي، وسياسة التجويع والترهيب والتخويف، وذلك قصد إخضاعه وتحقيق مساعيه، وقد خلفت تلك السياسة آثارًا سلبية على الفرد الجزائري من مظاهر الفقر والحرمان، وانتشرت مختلف مظاهر الآفات الاجتماعية.

---

[1] أ. أحمد العياضي، مطبوعة علمية بعنوان –الشعر الجزائري الحديث- جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، د.س، ص 09، بتصرف.

[2] عبد الله الركيبي، الأعمال الكاملة، الشعر الديني الجزائري الحديث، مجلد 1، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، 1432-2011، ص 75.

ومن الناحية الثقافية فلم يعمل المستعمر الفرنسي على هذه الأخيرة، بل عمل على تدميرها والقضاء عليها واستبدالها بثقافته، وقد عمل الاستعمار على زعزعة الأركان الثقافية للشعب الجزائري، فأدخله بذلك مأساة ثقافية، فأضاعوا لغته وشوهوها إضافة إلى القوانين المنتهجة من طرف الاستعمار، مثل القانون الذي صدر سنة (1904م) ومحواه أن كل معلم عربي يتعاطى مهنته يضع من ذلك إلا برخصة، إضافة إلى عدم التعرض لتفسير الآيات التي تدعوا إلى التحرير من الظالم واستبعاد دراسة الأدب العربي، واقتصار التعليم على حفظ القرآن فقط.[1]

ومن خلال هذه السياسات المنتهجة قد ضاعت ثقافة الفرد الجزائري وطمست، وفصلته بذلك عن ثقافته العربية الإسلامية.

أما عن الأوضاع السياسية فهي الأخطر باعتبار أن احتلال فرنسا للجزائر كان بهدف سياسي بالدرجة الأولى، والمتمثل في أن تصبح الجزائر فرنسية تابعة لها، وقد عملت جاهدة لتحقيق هذا الهدف، وبشتى الطرق سواءًا سياسيً والمتمثل في القوانين الصادرة عن الإدارة الفرنسية كقانون الإدماج، وقانون التجنيد الإجباري، بالإضافة إلى تشجيعها للهجات المحلية المختلفة وذلك لزرع الفتن وتفرقة الشعب والقضاء على الروح الوطنية باعتبار أن "حصانة النموذج الوطني كانت تمثلها القيم: الدين، اللغة، الوطن، فالوطن قد احتل والدين

[1] ينظر، أحمد العياضي، الشعر الجزائري الحديث، ص 12.

يحارب بكل الوسائل، واللغة أقيمت لها مشانق في كل قرية ومدينة، وظهر تشجيع اللهجات المحلية المختلفة وشرع في بناء المدارس الفرنسية".[1]

إضافة إلى اعتمادها على السلاح والقوة في تحقيق أهدافها.

هذاوصف موجز عن أوضاع الجزائر في العصر الحديث بمختلف نواحيها (الدينية، الثقافية، الاجتماعية والسياسية).

وبعد الظروف الصعبة والخطيرة التي آلت إليها الجزائر تفطن العلماء الخيرين من هذه الأمة إلى هذا الوضع، وسعو جاهدين إلى إصلاحه، فظهرت بذلك الحركة الإصلاحية في الجزائر وتطورت إبان فترة الاستعمار الفرنسي، وكانت هذه الحركة في أوجها خلال فترة الثلاثينيات ولكن إرهاصاتها الأولى كانت قبل ذلك، ففي بدايتها كانت مجرد فكرة فقط "وأخذت تتبلور شيئًا فشيئًا حتى قامت الحرب العالمية الأولى حيث بدأت تبرز بشكل منظم على نحو ما حتى قسماتها عام 1925م بظهور جريدة المنتقد".[2]

وكان شعار هذه الأخيرة "الرجوع إلى الماضي العريق فكرة وثقافة وتراثًا وصياغته على وجه يساير التطور الحضاري ويتماشى مع مجريات العصر، والأمر الثاني هو نقد

[1] العربي دحو، إطلالات مقارب الأدب الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط، ص 2011، ص 24.

[2] عبد الله ركيبي، الأعمال الكاملة، الشعر الديني الجزائري الحديث، (مرجع سابق)، ص 171.

الواقع والخروج من التخلف المادي والأدبي والتحرر من الجمود والتأخر الفكري والاجتماعي".[1]

وكما هو معروف أن ظهور أي حركة إصلاحية في مكان ما يكون نتيجة لظروف وعوامل تساهم في ظهورها وتوسعها، وعوامل ظهور هذه الحركة في الجزائر هي:

-عوامل خارجية:

- بروز أفكار المصلحين الأولين لاسيما "جمال الدين الأفغاني" والشيخ "محمد عبده"[2] وزيارة هذا الأخير –محمد عبده- إلى الجزائر، وهذين العالمين كان لهما أثر بالغ في أوساط الجزائريين.

- عودة أبناء الجزائر المخلصين من الحجاز منبع الإسلام ومنبت الدعوة في الإصلاح الإنساني، بعد أن تشبعوا بالأفكار الناضجة الحديثة هناك، واختصرت في أفكارهم وعقولهم وتأثروا بها وعادوا إلى أرض الوطن يحملون معهم هذه الأفكار الجديدة"[3] أمثال الشيخ مبارك الميلي، الطيب العقبي.

---

[1] عبد الله الركيبي .الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 471-672.

[2] أ. سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، دار الواحة للكتاب، الجزائر، 2013، د ط، ص 98.

[3] عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، 1931-1945، دار البحث للطباعة والنشر، قسنطينة، ط1، س 1981، ص 61-62.

- دور المراكز العلمية الدينية في الوطن العربي وعلى رأسهم جامع الزيتونة بدولة تونس وجامع الأزهر الشريف بدولة مصر، بحيث كان لها فضل كبير على الحركة الفكرية في الجزائر، يقول "مبارك الميلي" في هذا الصدد: "جامع الزيتونة أقدم الكليات الإسلامية الثلاث، ومنه انبعث الضوء نحو المغرب، فلجامع الزيتونة الفضل العام على العالم الإسلامي في حياته الفكرية ثم له علينا الفضل بصفة خاصة... انتفعنا بما كتب لنا من علوم الدين ووسائله لذلك تجدنا نهوى جامع الزيتونة"[1]

- انتهاء الحرب العالمية الأولى وما خلفته من وعي سياسي لدى الجزائريين.

-"النهضة السياسية في مصر والثورة الليبية في إيطاليا واشتداد الحرب في الريف المغربي، بقيادة الأصيل عبد الكريم الخطابي".[2]

كل هذه العوامل وأخرى كان لها تأثير كبير في يقظة الشعب الجزائري.

-**العوامل الداخلية**: هناك عوامل داخلية ساهمت في نشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر، والتي تتمثل في عاملين أساسيين:

1- **عامل الاستعمار الفرنسي على الجزائر**: يعتبر هذا الأخير من أبرز العوامل الداخلية التي أسهمت في بروز الحركة الإصلاحية في الجزائر، بحيث عمل الاستدمار الفرنسي على القضاء على الثقافة العربية الإسلامية من دين ولغة وتاريخ... وذلك من خلال سياسة القمع

[1] ينظر، سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، ص 101-102.
[2] أ. أحمد العياضي، الشعر الجزائري الحديث (مرجع السابق)، ص 09.

الذي انتهجتها، وجاء بـ "حركات التبشير المسيحي، المحمية من طرف الاستعمار في العمل على تنصير أبناء وبنات الجزائر، وسياسة الفرنسة والتجنيس التي أرادت دولة الاحتلال فرضها على الجزائريين"[1]. ونظرًا لهذا الوضع المزري الذي آلت إليه الجزائر رأى المصلحون "ضرورة المحافظة على الشخصية الجزائرية التي أصبحت مهددة بالخطر من طرف الاستعمار وعملائه من دعاة الفرنسية والاندماج والتغريب".[2]ويعد احتفال الفرنسيين بمرور مئة عام على احتلال الجزائر سنة 1930 من العوامل المهمة التي بثت الوعي عند الجزائريين، فهذا الاحتفال قد أشعرهم بالذل والإهانة في وطنهم، أين واجهت فرنسا الجزائريين بعبارات عدائية، ومن بينها ما نشر في إحدى المجلات الفرنسية "إننا معشر الفرنسيين في بلادنا هنا، في الجزائر، قد استحوذنا على هذه البلاد، وبسطنا سلطتنا عليها بالحديد والنار إذ لا ينجح ألا احتلال إلا بالقوة... ولما كبحنا جماح الشعب الجزائري استطعنا أن ننظم البلاد، وهذا التنظيم نفسه يقيم الدليل على تفوق الغالب على المغلوب، أي تفوق الرجل المتمدن على المتخلف، فأصبحنا أصحاب البلاد الشرعيين"[3] فكانت مثل هذه العبارات العدائية والاستفزازية محفزاً لإيقاظ العقول وشحذ همم الجزائريين، وعززت لديهم روح الوطنية والغيرة على هذا الوطن الطيب.

---

[1] سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، ص 102.

[2] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بم باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر، مجلة الثقافة، عدد 68، ص 36، نقلاً عن سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، ص 102-103.

[3] عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية علماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، 1931-1945، ص 85-86.

2- **عامل الحركات الصوفية:** لقد زادت حركات نشاط الصوفية خصوصًا إبان فترة الاحتلال الفرنسي، فانتشرت أفكارها من جل المدن الجزائرية، إلا أن هذه الصوفية انحرفت عن الطريق الصحيح "بحيث كانت تزعم معرفة الغيب من باب الكرامات فامتصت مال كثير من الجزائريين موهمة إياهم بخدمة الدين والعقيدة، وإنما كان ذلك تخديرًا منها لعقول الناس وخدمة لمصالح الصوفيين المرتزقة"[1] فانتشر بذلك الجهل في أوساط الجزائريين وتفشت ظاهرة الشعوذة والدجل والبدع والخرافات وباعدتهم بذلك عن الإسلام وكل ذلك بسبب: "انحراف معظم الطرق الصوفية في الجزائر عن جادة الإسلام القويمة، حيث أكثروا من البدع في الدين، بل وتعاون معظمهم مع الإدارة الفرنسية الاستعمارية ضد مصالح بلادهم العليا"[2] فتلك الطرق الصوفية المنحرفة قد تواطئت مع المحتل الفرنسي في تحقيق أهدافه وأغراضه، وبالمقابل لقيت تلك الطرق دعمًا وتشجيعًا من طرف المحتل "فقد كان الاحتلال الفرنسي يشجع هؤلاء الصوفيين".[3]

كل هذه الظروف والعوامل ساهمت في ظهور وانتشار موجة الحركة الإصلاحية في الجزائر وظهر وانتشر دعاة هذه الحركة في شتى ربوع الوطن، داعيين إلى إصلاح المجتمع الجزائري على مختلف الأصعدة (دينيًا، اجتماعيًا، سياسيًا، ثقافيًا).

---

[1] سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، ص 107-108.

[2] نفس المرجع، ص 108.

[3] عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، ص 190.

في هذه الأثناء تكون تنظيم جمع العلماء المصلحين في مجلس واحد أين توحدت كلمتهم وتظافرت جهودهم، أطلق على هذا التنظيم اسم "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان ذلك في 31 ماي 1931، "وكان منهاجهم في العمل الآية الكريمة ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾".[1]

وكان الهدف الرئيسي الذي تبنته الجمعية "فهم العقيدة الإسلامية ليحسن تطبيقهم تعاليم الإسلام وأحكامه، ويبعدهم عن مزالق الشرك والبدع والخرافات التي قد أشبعت العقول ضلالاً"[2] وكانت وسيلتهم في ذلك أولاً وأخيرًا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة "فالنهوض بالأمة الجزائرية نهضة أخلاقية على أساس الدين والعلم على نور الكتاب والسنة وهدي صالح سلف الأمة".[3]

وبعد تأسيس هذه الجمعية المباركة زاد نشاط الحركة الإصلاحية في الجزائر وهذا بفضل العلماء الأكفاء المنخرطين فيها وعلى رأسهم السيخ عبد الحميد بن باديس (1889-1940) والشيخ البشير الإبراهيمي (1889-1965) والشيخ الطيب العقبي (1890-1960) محمد السعيد السنوسي الزاهري (1899-1950)، الشيخ العربي بلقاسم التبسي (1895-1975) وغيرهم من العلماء والشيوخ الذين لهم الأثر الكبير على نشر الفكر الإصلاحي في الجزائر.

---

[1] سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، ص 150.

[2] المرجعنفسه، ص 150.

[3] عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج 3، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983، ص 212.

أما عن الصعوبات التي واجهت الحركة الإصلاحية فهي كثيرة، فبعد تنامي الشعور القومي وانتشار الحركة الإصلاحية في الجزائر حتم ذلك على المستعمر الفرنسي مواجهة هذه الموجة الرامية بالأساس إلى تنوير وإخراج الشعب من جهله والإسراع إلى قبرها في مهدها، وانتهجت في ذلك عدة أساليب تعددت في الطرق وتشابهت واتفقت في المسعى، فمنها ما كان يهدف إلى إضعاف اللغة العربية وجعلها لغة دخيلة أجنبية على الجزائريين حتى وصل الأمر إلى اقتياد معلمي اللغة العربية إلى المحاكم وسجنهم، كما لم تغفل السلطة الفرنسية عن الخطاب الإصلاحي والذي كان يمثل روحًا تتسرب في العقول وتشحذ الهمم، فقامت بتضييق الخناق على أعضاء جمعية علماء المسلمين الجزائريين وتشديد المراقبة عليهم منذ سنة 1933.[1]

"وفي سنة 1933 منعت الحكومة الفرنسية مرشدي جمعية العلماء المسلمين من إلقاء الدروس والخطب في المساجد".[2]

وإلى جانب ذلك نجد أن الطرق الصوفية المنحرفة في مواجهة الحركة الإصلاحية من خلال نشر الفتن والجهل باسم الدين وتعاونهم مع الحكومة الفرنسية، يقول مبارك الميلي: "لقد ثقل على من خفت موازينه من الطرقيين والقبوريين والمرابطين نصح المشفقين وساءهم

[1] ينظر، سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، ص 120-121.

[2] عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الجزائرية، ص 314.

تحذير العلماء الناصحين فكادوا لهم مع الحكومة –حكومة الاحتلال الفرنسي- كي يوقعهم في قبضتها فقامت الحكومة للعلماء بالترغيب والترهيب".[1]

وإن من أهم الوسائل التي اعتمدها رجال الحركة الإصلاحية في الجزائر هي الصحافة، فقد دعت الحاجة إلى تنظيم صحافة لمضاعفة الجهد وتطوير الحركة وتعميمها في كل بقاع الجزائر "فكان لزامًا أن تؤسس صحافة تبلغ للناس الدعوة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح بالكتاب والسنة وهدي صالح سالف الأمة، وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات، إذ أن الصحافة هي الأداة المشروعة المعترف بها لكل جمعية لنشر دعوتها والدفاع عن نفسها"[2] وقد أسست الحركة الإصلاحية مجموعة من الصحف مثل: جريدة المنتقذ، صحيفة الشهاب والإصلاح، صدى الصحراء.[3]

"وقد اتخذوا من الصحافة وسيلة أساسية منذ (1925) لنشر أفكارهم الجديدة وتمزيق ركود الجمود، وعندما تأسست الجمعية سنة (1934) جعلت الجمعية من الصحافة الوسيلة الأولى لنشر دعوتها ومبادئها وأهدافها بين الجزائريين، وسلاحًا خطيرًا تستخدمه ضد خصومها من الإدارة الاستعمارية، ورجال الطرق الصوفية، وضد كل من أصبح يسير في ركاب المحتلين".[4]

---

[1] سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، ص 129.

[2] عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ص 28.

[3] ينظر، سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، ص 277.

[4] عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائرية ودورها في تطور ح و ج، ص 139.

إلى جانب الصحافة نجد النوادي والجمعيات الثقافية والمؤسسات الخيرية والدينية، فقد كانت المحاضرات والندوات تلقى في هذه الأماكن وتناقش فيها قضايا التعليم والأدب والمجتمع، ومن هذه الجمعيات "الجمعية التوفيقية، ونادي الشبيبة الجزائرية، ونادي الأدب العربية، نادي صالح باي، نادي الترقي.[1]

[1] عبد الله الركيبي، الأعمال الكاملة، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 49.

الفصل الأول

ماهية الشعر الإصلاحي

لقد عرفت الجزائر مجموعة من التحولات والتطورات في مجالها السياسي، أين خضعت للاحتلال من قبل الدولة الفرنسية، هذا الأخير الذي أدى إلى قلب الأوضاع الجزائرية رأساً على عقب، فقد عمل المستعمر على طمس الهوية الجزائرية ومقوماتها وثوابتها (القضاء على الدين الإسلامي خاصة)، وهذا ما أدى إلى تدهور الأوضاع الجزائرية في مختلف مناحي الحياة (اجتماعيً، سياسيًا، دينيًا واقتصاديً)، ولكن ظهر تيار آخر مناهض كرد على أعمال المستعمر، أين قطعوا الطريق في وجه أطماعه، تمثل في ظهور الحركة الإصلاحية، هذا الأخيرة التي عمل رجالها وعلماؤها على إصلاح المجتمع الجزائري، واتخذوا الشعر كوسيلة من وسائل الإصلاح، أين ظهرت مجموعة من الأسماء اللامعة في مجال الشعر الإصلاحي، حملوا لواء الإصلاح، وجعلوا من شعرهم رسالة وأداة للنهوض بمجتمعهم، وبطبيعة الحال كان للشعر في تلك الفترة مجموعة من الخصائص والسمات، وهذا طبيعي لأن الشعر يتغير بحسب الظروف والبيئة التي قيل فيها، وهذا ما حدث مع الشعر الإصلاحي.

المبحث 01:مفهوم وخصائص الشعر الإصلاحي

1/ ضبط المفاهيم: قبل الخوض في مفهوم النزعة الإصلاحية في الشعر، يجب أن نورد كلا من مفهوم "النزعة" و"الإصلاح" من الناحية اللغوية.

أ/ مفهوم النزعة لغة:

جاء في معجم العين: "ونزعت في القاموس نزعاً، والسياق النزع هو في النزع ينزع نزعًا، أي يسوق سوقًا، والنفس إذا هويت شيئًا ونازعتك إليه فإنها تنزع إليه نزاعًا، ونزعت عن كذا نزوعًا، أي كففت".[1]

كما وردت لفظة النزعة في معجم اللغة العربية المعاصرة كالتالي: "نزعة [مفرد]، جمع نزاعات ونزْعات، اسم مرة من نزَع/نزع إلى نزِّع/نزع عن، ميل واتجاه فطري أو نفسي إلى شيء، النزعة الرمزية في الفن التشكيلي والنزعة التوسعية للدول الكبرى –نزعة جديدة / أدبية/ إلى الخير / إلى الشك – الكفاح العادل ضد الاستعمار والنزعات العسكرية نزعة المغامرة العسكرية، رغبة واعية تسوق الإنسان إلى العمل حالة شعورية ترمي إلى سلوك معين لتحقيق رغبة ما".[2]

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، المجلد الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003، ص 121.

[2] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الثالث، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008، ص 2194.

وجاء في معجم الرائد: "نزع: ينزع: نزاعًا إلى الشيء: ذهب إليه به إلى كذا: دعاه إليه، نزع يَنْزِعُ نِزَاعًا نزوعا، إلى وطنه أو أهله، اشتاق، نزعٌ: مصدر: نزع، حالة المشرف على الموت، نزعةٌ جمع: نزعات، المرة من نَزَعً، ميل اتجاه." النزعة الشعبية في الأدب: "له نزعة إلى كذا أي ذهاب إليه".[1]

نجد إذًا لفظة النزعة تدل على التوجه والذهاب والميول والتوجه.

ب/ مفهوم الإصلاح لغة:

جاء في معجم "العين" "صلح: الصلاح، نقيض الطلاح، ورجل صالح في نفسه، ومصلح في أموره وأعماله، والصلح: تصالح القوم بينهم وأصلحت إلى الدابة، أحسنت إليها، والصلح: نهر بميسان".[2]

وجاء في "لسان العرب" لابن منظور: صلح: الصلاح ضد الفساد، صلح يصلح ويصلح صلاحً وصلوحًا، وأنشد أبو زيد:

فكيف بإطراقي إذا ما شتمتني؟ وما بعد شتم الوالدين صلوح

وهو صالح وصليح، الأخيرة عن ابن ابن الأعرابي، والجمع صلحاء وصلوح، وصلح: تصلح: قال بن دريد: وليس صلح بثبت، ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء ومصلح في

[1] جبران مسعود، الرائد (معجم ألفبائي في اللغة العربية والأعلام)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2005، ص 888.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، (مصدر سابق): ص 816.

أعماله وأموره، وقد أصلحه الله، وربما كنوا بالصالح عن الشيء الذي هو إلى الكثرة كقول يعقوب: مغلات في الأرض مغرة من مطر، وهي مطرة صالحة.

والإصلاح: نقيض الإفساد، والمصلحة: الصلاح، والاستصلاح نقيض الاستفساد، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه.[1]

وقد وردت لفظة "إصلاح" في القرآن الكريم في الكثير من المواقف، كقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[2]

ويقول في سورة النساء: ﴿وَإِنْخِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.[3]

وهنا الإصلاح في المعنى الشامل والعام ويختلف مفهومه حسب المجالات (الإصلاح السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي) و لكنها تتفق في نقطة واحدة وهي أن الإصلاح هو التغيير من السيء إلى الأحسن والأفضل.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، الجزء 3، دار صادر ، بيروت، الطبعة 3، 1414هـ، ص 1320-1321.

[2] سورة الأعراف، الآية 56.

[3] سورة النساء، الآية 35.

ج/ النزعة الإصلاحية في الشعر:

لو عدنا إلى فكرة "الإصلاح لوجدناها ضاربة في التاريخ، فمن قديم الزمان كانت هناك دعوات الإصلاح، مثلاً عند ظهور الإسلام، هذا الدين الذي دعا إلى الإصلاح في مختلف المجالات، أين كان الناس في ذلك الزمان يعيشون حياة اللهو والمجون، والنزاعات والحروب القبلية، فعمل الإسلام على إصلاح أمور الناس وزرع الألفة والمحبة بينهم، ممثلاً في خير البشرية "محمد صلى الله عليه وسلم" وبذلك أصبحت فكرة الإصلاح تتطور شيئًا فشيئًا إلى أن وصلت إلى العصر الحديث، وسنركز نحن بدورنا عن حضورها في الشعر الجزائري الحديث وكما هو معروف الحالة السياسية التي كانت عليها الجزائر في تلك الفترة، فقد كانت خاضعة للاحتلال الفرنسي، والذي عمل هذا الأخير على طمس هوية ومقومات الشعب الجزائري، فهذه الظروف دفعت بمجموعة من الرجال والعلماء المخلصين للتصدي لهذا المستعمر الغاشم وبذلك طهرت ما يسمى بالحركة الإصلاحية، وبدأت هذه الأخيرة بالتوسع أكثر فأكثر إلى أن شملت الناحية الأدبية "فكان الشعر من أهم أسلحة الفكر الإصلاحي، ووسيلة ليقظة النهضة الدينية".[1] وبذلك استعمال الأدباء والشعراء الشعر كأداة أو وسيلة من وسائل الإصلاح في مجتمعاتنا، وقد "ارتبط الشعر بالحركة الإصلاحية لأن

[1] حميدة بنت حفيظ قادوم، دراسات في الشعر الحديث والمعاصر، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص 23.

رجال الحركة الإصلاحية احتضنوا التراث والأدب واللغة والثقافة العربية في الجزائر، ومن ثم ازدهر هذا الشعر في رحاب هذا الفكر وعبر عن أهدافه ومراميه".[1]

وبحسب النقاد والدارسين أن أول قصيدة تؤرخ الفكر الإصلاحي في الجزائر هي قصيدة "المنصفة" للشاعر "محمد المولود بن الموهوب" والذي يصف فيها واقع الشعب الجزائري وينتقده، وينتقد المظاهر الشاذة الدخيلة عن الدين الإسلامي وتعاليمه[2]، يقول فيها:

صعود الأسفلين به دُهيـنا لأن للمعارف ما هدينا

رمت أمواج بحر اللهو منا أناس للخمور ملازمينا[3]

فنجد الشاعر هنا ينتقد الأوضاع التي آل إليها الشعب الجزائري من انحلال أخلاقي وتميع وتفسخ، داعيً إلى التطهير والتخلص من هذه المظاهر.

لتظهر بعدها مجموعة من القصائد لمجموعة من الشعراء حملوا لواء الإصلاح والنهوض بمجتمعهم من أمثال (حمود رمضان، الطيب العقبي، اللقاني بن السائحي، عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي وغيرهم) أين سخروا كتاباتهم للنهوض بشعبهم وأمتهم، وكان في بداية هذه الدعوة مقتصرة على الجانب الديني لتشمل بعدها مختلف مناحي الحياة

[1] عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ، ص 295.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 423.

[3] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط2، 2007، ص 67.

"لقد كان ينظر إلى القضايا الوطنية جميعها من زاوية واحدة هي زاوية الإصلاح الثقافي والاجتماعي".[1]

و قد "اشتد الشعر الإصلاحي أكثر بميلاد جمعية العلماء المسلمين الذي أخذ صيغة التحدي والمجابهة، مجابهة الاستعمار من ناحية وأذياله الذين ينكرون تاريخ الجزائر من ناحية ثانية، فوجد الشعر بذلك مناخًا جديدًا يساعد على التطور والإقدام... فأصبح الشعر الذي كان مجرد تساؤل ممزق ودمعة مسفوخة، أصبح تحديً صريحًا يدعوا إلى الجهاد والنضال".[2]

وبذلك أصبح الشعر من أدوات الإصلاح في المجتمع الجزائري، فكان وسيلة لليقظة الدينية وأداة للدفاع عن مبادئ الدين الإسلامي، إضافة إلى استعماله سلاحًا في وجه المحتل الغاشم ووسيلة من وسائل التوجيه والإرشاد وإيقاظ الضمير وشحن الهمم والدعوة للنضال والجهاد في سبيل الوطن، إضافة إلى دعوته إلى التحلي بمكارم الأخلاق، والدعوة إلى التعليم ونبذ الجهل ومحاربته، فأصبح بذلك الشعر مرآة تعكس المجتمع وأداة لإصلاحه والنهوض به.

[1] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط 5، 2007، ص 35.

[2] ينظر، عمارة حياة، الاتجاه الإصلاحي في شعر محمد العيد آل خليفة، رسالة ماجستير، جامعة بلقايد، تلمسان، 2001-2001، ص 19-20.

2/ خصائص الشعر الإصلاحي:

كما هو معروف فإن الشعر يتأثر بالظروف والبيئة المحيطة به، والشعر الإصلاحي بدوره قد اتسم بمجموعة من الخصائص تبعً للظروف التي قيل فيها، ومن أبرز هذه الخصائص نجد:

أ/ اللغة الشعرية: تعتبر اللغة الشعرية من أهم مميزات الشعر، وقد أولاها النقاد عناية كبيرة، بحيث يعتبرون "الشعر استكشافًا دائمًا لعالم الكلمة واستكشافًا دائمًا للوجود عن طريق الكلمة والشاعر يتعامل مع ذاته ومع الوجود من خلال اللغة وأسلوب تعامله معها يعبر عن مدى مقدرته على الخلق، واشتقاق أبعاد جديدة الألفاظ والتراكيب معًا، ومن ثم فإن الشعر هو الوسيلة الوحيدة لغنى اللغة وغنى الحياة على السواء، والشعر الذي لا يحقق هذه الغاية الحيوية لا يمكن أن يسمى شعرًا بحق."[1]

ومن خلال هذا يتبين لنا أن اللغة الشعرية تلعب دورًا أساسيًا في العمل الأدبي عموماً والشعري خصوصًا، بل هي الجوهر اللبنة الأساسية التي نميز من خلالها النص الشعري دون غيره من النصوص الأخرى.

[1] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار العروبة، بيروت، ط3، 1972، ص 174.

ولعل ما يميز الشعراء الجزائريين في المرحلة الإصلاحية إلى انتهاج نهج القصيدة التقليدية القديمة، وقد ظهر تعلقهم بمتن العمود الشعري بصفة جلية في الصياغة الشعرية، سواء في طبيعة العبارة وموقفهم من صياغتها، أم في طبيعة اللفظة والصورة".[1]

ومن أهم ما تميزت به اللغة الشعرية عند الشعراء الإصلاحيين:

- **التقريرية والمباشرة:** إن من أهم ما يميز لغة الشعر الإصلاحي هي خاصية التقريرية والمباشرة، فابتعدت لغتهم بذلك عن التصوير والخيال –إلى حد ما- وهذا بحكم نزعتهم المحافظة والتقليدية، يقول عبد الله الركيبي:

"والواقع أن الخاصية البارزة في الشعر الإصلاحي أنه شعر تغلب عليه المباشرة".[2]

ونضرب مثلاً على ذلك لأبيات شعرية للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة يقول:

أرى جل أصحابي ازدادوا بوظيفتـي وقالـوا همـوم كلها ووجائـع

وقد زعموا عمري مع النشئ الضائع وتالله ما عمري من شيء ضائع

سيرون عني العلم والشـعر برهـة ونطلع الإسلام منهم طلايـع[3]

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته ونصائحه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006، ص 276.

[2] حميدة بنت حفيظ القادوم، دراسات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، (مرجع سابق)، ص 40.

[3] محمد العيد آل خليفة، ديوان، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، ص 373.

نجند الشاعر محمد العيد في هذه الأبيات يستعمل لغة تقريرية مباشرة تبتعد عن استعمال التصوير والخيال، وهي لغة قريبة من لغة النثر.

ويقول أبو "اليقضان" بعد عام ونصف من مصادرة جريدة "وادي ميزاب" 1926-1929:

مضى عن مغيبي نحو عام ونصف ولـــي فيه أنـــات يذوب لها الصخر

رفعت شكايـــات لهـــا ومـــطالب ولم أنـــل ظفـــرًا وإن تفـع الظـــفر

أرى الحظ يدنوا من يـــدي منالـــه فتبعـــد عنـــي الوشايـــا والعـــذر1

"وتميز اللغة الشعرية في هذه المرحلة بالتقريرية والمباشرة تعود فيها بحسب إلى مفهوم الشعراء لوظيفة الشعر ورسالته في الحياة، فلم يكن الشاعر الإصلاحي إلا نادرًا ما ينظر إلى اللغة من جانبها الجمالي... بقدر ما كان يهدف إلى إيصال أفكاره إلى المتلقي لقد كان ينظر إلى الشعر بوصفه وسيلة من وسائل الإصلاح والنهوض والوعظ والإرشاد والتربية والتوجيه وهدفه الوصول إلى عقل المستمع والقارئ".[1]

- **القوة والجزالة:** تميزت اللغة الشعرية عند شعراء الإصلاح بخاصية القوة والجزالة نظرًا لتعلقهم بالأدب العربي القديم، فكان هذا الأخير –الأدب العربي القديم- من أبرز الروافد التي

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 282.

صبت في الشعر الجزائري الحديث، والأمر الذي يقع فيه الشعراء الإصلاحيين تسرب الأدب القديم والعناية به حفظًا وتذوقًا سببان:

الأول: عناية الحركة الإصلاحية بالتراث القديم، والثاني: انتماء أصحاب هذه الحركة إلى الثقافة العربية.[1]

"وهذه الخصيصة تدل على تمكن ظاهر من اللغة العربية ومفرداتها ومن قواعد اللغة العربية نحوًا وصرفًا، واطلاع واسع على التراث العربي لاسيما مصادره الأصلية مثل القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة... وهذه المصادر الأصلية جعلت اللغة الشعرية عند الأغلب الأعم من شعراء الإصلاح، تتسم بالنصاعة والإشراق، متميزة بالجزالة والقوة والمتانة"[2]

فخاصية المتانة والجزالة تعود إلى الاقبال الواسع للشعراء الإصلاحيين على المصادر التراثية (شعر قديم، القرآن، السنة)، إضافة إلى تطلعهم إلى إحياء التراث العربي القديم.

- **السهولة والوضوح:**

وهي خاصية بارزة في الشعر لإصلاحي، فقد عمد شعراء الإصلاح إلى استعمال لغة شعرية بسيطة وواضحة بعيدة عن اللغة المعقدة والغريبة، فهي لا تحتاج إلى القواميس والمعاجم لفهمها، وهناك دعوات صريحة من قبل الشعراء الإصلاحيين لاستعمال لغة

[1] ينظر محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 45-46

[2] أحمد العياضي، الشعر الجزائري الحديث، ص 47.

واضحة وسهلة، يقل "رمضان حمود" لا يسمى الشاعر شاعرًا عندي إلا إذا خاطب الناس باللغة التي يفهموها".[1]

فيجب على الشاعر أن يخاطب الناس باللغة التي يفهمونها ويتعاملون بها، فيفهمها كل فئات المجتمع من مثقفين وعاميين، ون أمثلة اللغة الشعرية البسيطة قول "محمد العيد آل خليفة" يقول:

يا قوم هبوا لاغتـــــنام حياتكـــــم فالعمر ساعات تمر عجالاً

الأسر طال بكم فطـــــال عناؤكـم فكوا القيود وحكموا الأعداء

والشعب ضج من المظالم فانشدوا حرية تحميه واستقـــــــلالاً

لا أمن إلا في ظلال مرفرف حر لنا عال ينير هـــــــــــلالا.[2]

فالشاعر محمد العيد هنا استعمل لغة سهلة وواضحة وهذا راجع إلى نوع المخاطب أو المتلقي، فهو يخاطب عامة الشعب وهذا يستدعي هذا النوع من اللغة.

وخاصية السهولة والوضوح في الشعر الإصلاحي تعود لمجموعة من الأسباب أهمها: موقف الشعراء الإصلاحيين ورؤيتهم النقدية لوظيفة الشعر، فالشعراء كانوا يكتبون لجمهور الشعر والشعر عندهم أداة من أدوات الإصلاح، إضافة إلى طغيان النزعة العقلية والفكرية

[1] محمد ناصر، حمود رمضان حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط2، 1985، ص 38.

[2] حميدة بنت حفيظ قادوم، دراسات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص 38.

في الحياة اليومية للشعراء، أيضًا كان الشعراء يستخدمون مفردات شائعة ومتداولة ويتعاملون مع معجم شعري متشابه، متماشيًا مع طبيعة المرحلة.[1]

ب/ النزعة الخطابية:

تعد النزعة الخطابية من أهم وأبرز سمات الشعر الإصلاحي، بحيث تعرف الخطابة على أنها: "فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته...، ولابد من الإقناع وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين ويؤيده بالبراهين، ليعتقدوه كما اعتقده،ثم لابد من الاستمالة والمراد بها أن يهيج الخطيب نفوس سامعيه أو يهدؤها ويقبض على زمام عواطفهم يتصرف بها كيف يشاء، سارًا أو محزنًا، مضحكًا أو مبكيً، داعيً إلى الثورة أو السكينة، وإذًا فأسس الخطابة: مشافهة جمهور وإقناعه واستمالته".[2]

وقد توجه الشعراء الإصلاحيون إلى استعمال الصيغة الخطابية في شعرهم، معتمدين في ذلك على الأدوات المستعملة في الخطابة عادة، من مثل "أدوات الاستفهام والأمر والنهي والنفي والتوكيد"[3] بالإضافة إلى "النداء، الإكثار من صيغ التعجب والإنكار والتحريض والقسم، وما إليها من الصيغ المعروفة في أساليب اللغة العربية الإنشائية".[4]

---

[1] ينظر، أحمد العياضي، الشعر الجزائري الحديث، ص 46.

[2] إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط5، 2016، ص 14.

[3] خالد أقيس، بنية الخطاب في شعر الحركة الإصلاحية، الشهاب نموذجًا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 2015-2016، ص 290.

[4] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 611.

فالنبرة الخطابية قد ظهرت بشكل لافت للنظر لدى شعراء الحركة الإصلاحية، فمعظم الشعراء الإصلاحيين انتهجوا في نظمهم نهج الخطاب الحماسية، وأرجع محمد ناصر السبب في ذلك إلى عاملين هما: استجابة منهم للمفهوم العربي التقليدي الذي لا يفرق في نظرته النقدية بين الشعر والخطابة إلا من جهة الوزن والقافية، والعامل الثاني هو موضوعي يتمثل أساسًا في الواقع الجزائري، فكان هذا الواقع يدفع الشعراء إلى استخدام الأسلوب الخطابي الذي يتماشى مع واقعهم وظروفهم السياسية والاجتماعية، وهذا الأسلوب من أصدق الأساليب تجاوبًا مع الجموع التي يخدرها التشاؤم ويمزقها الضياع.[1]

فلم يكن بإمكان الشاعر الإصلاحي أن يفصل بين أسلوب الشعر ووظيفته، فكان مجندًا لأداء رسالته الإصلاحية، فكان بذلك شاعرً جماهريًا يتصل بالجموع ويحيا بها.[2] وهذا ما جعل القصائد تتميز بأسلوب الإثارة والدعوة الصارخة داعية إلى الإفاقة من النوم والخدر من المكائد.[3]

فقد كان أسلوب الشعر في فترة الحركة الإصلاحية متأثرًا بالفكر الإصلاحي ويخدم مشروعه، يقول عبد الله الركيبي: "ارتباط الشعر بالفكر الإصلاحي جاء لظروف أحاطت

---

[1] ينظر، محمد ناصر .الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 611-612.

[2] المرجع نفسه، ص 613.

[3] صالح الخرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 342، نقلاً عن المرجع السابق، ص 613.

بالأدب والثقافة وبسبب عوامل أحاطت بالفكر والمجتمع والسياسة فأثرت في الشعر ووجهت لخدمة هذا الفكر".[1]

وما نستنتجه من قول "الركيبي" أن الشاعر الجزائري قد تأثر بظروف بيئته ومجتمعه الذي كان يتخبط في الأزمات والمشاكل السياسية والاجتماعية فاستعمل بذلك شعره لمواجهة هذه الأزمات بأسلوب يتماشى مع ظروف العصر.

وبذلك قد تغيرت نظرة الشاعر لنفسه وتقدير النقاش له من حوله "فأصبح الشاعر بذلك إلى خطيب، لا يجب أن يختلف في مهمته عن الواعظ في المسجد أو الخطيب في المحفل، هو مجند أبدًا لأن يستثير الهمم ويهز العواطف، لذا نجد من بين النقاد آنئذٍ من اعتبر أسلوب الشعر كأسلوب الخطابة".[2]

يقول "حمزة بكوشة" الشعر هو الخطابة في تحريك الشعور، وإثارة العواطف وإيقاظ الهمم وتوجيه الشعوب"[3] فبذلك قد اشترك الشعر مع الخطابة في الهدف فكلاهما يهدف إلى التوجيه والإرشاد والنصح، فلابد إذاً من تشابه الأسلوب المنتهج.

وكمثال على النزعة الخطابية نص "محمد بن قدور" المعنون "بأظهر مظاهر الجزائر" يقول:

ألا أيها الأحباب طرًا عليكـــــم سلام كموج المسك بل هـو أعظـــم

---

[1] عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ، ص 36.

[2] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 614.

[3] المرجعنفسه، ص 614.

ولازلتم والفضل يخـدم حيكـــم ويأتي بالتحاف بها الـــمرء يسلـــم

فدوموا على حبل المودة والصفا كذا الوصل والإيحاء في الله تعظم

وجدوا كما أنتم فإنـــكم علـــى صواب وحق كالظهـــيرة يعـــلم.[1]

فالشاعر "محمد بن قدور" هنا قد استثمر أسلوب وأدوات الخطابة في هذه الأبيات، فنجده يلقي السلام إضافة إلى استعماله للنداء في قوله "ألا أيها" إلى جانب ذلك نلاحظ استعماله لفعل الأمر "دوموا-جدُّوا" إضافة إلى مضمون الأبيات فهو يدعوا إلى المحبة والإيخاء، وكلها مميزات اتسمت بها الخطابة.

ونجد أيضًا بعض الشعراء يستفتحون قصائدهم بتحية الإسلام، وهذا ما نجده في الخطابة عادة، يقول "محمد العيد آل خليفة":

سلام عليكم روح الشعـب بالفال وقد كاد يحظى بالسلامة في الحـــال

سلام عليكم أيـها الـقوم سقـــته إليكم بســـــم الله في الأمر ذي بـــال

تحية إسلام وعنـــــوان ألفـــة ودعـــــوة إكـــــرام وبرهان إجـلال

سلام عليكم وطبتم اليوم فادخلوا على اليمن مفضالاً إلى جنب مفضال.[2]

[1] الشهاب، س 7، ج 9 سبتمبر، نقلاً عن خالد أقيس، بنية الخطاب في شعر الحركة الإصلاحية في الجزائر، الشهاب، نموذجًا، ص 294.

[2] ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 125.

إلى جانب الأساليب المذكورة آنفاً، نجد أسلوبًا آخر حاضرا بقوة في الشعر الإصلاحي ألا وهو أسلوب التكرار، وهو "أسلوب تعبيري يصور اضطراب النفس ويدل على تصاعد انفعالات الشاعر".[1]

وللتكرار مجموعة من الأغراض، أما المستعملة في الشعر الإصلاحي فتصب معظمها في أغراض: التوبيخ، الوعيد، التحسر، الوعظ، الذّم، التوكيد، التحذير.

وكمثال على أسلوب التكرار مقطوعة الشاعر الجزائري "مفدي زكرياء" أين نجده يكرر أداة الاستفهام "كم" ثمان مرات ونجدها في بداية كل صدر وعجز، يقول:

فكم هتكنا بها الأستـــار مغلقـــة وكم غزونا بها في الغيـــب أكواناً

وكم جلونا بها الأســـرار مبهـــمة وكم أقمنا بهـا العـــدل ميزانـــا

وكم صرعنا بها في الأرض طاغية وكم رجمنا بها في الأرض شيطاناً

وكم حصدنا بها الأصنام شاخصة وكم بعثنا من الأصنام إنســـاناً.[2]

وما يمكننا قوله أن الشعراء الإصلاحيين قد انتهجوا نهج الخطابة من أشعارهم وقصائدهم نظرًا للظروف المحاطة بهم، ووظيفة الشعر عندهم فهو شعر دعوة وتوجيه وإرشاد.

---

[1] عبد الرحمن تبرماسين، البنية الإيقاعية في القصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003، ص 194.

[2] محمد بن قاسم ناصر بوحجام، دراسات عن الأدب الجزائري الحديث، نشر جمعية التراث القرارة، الجزائر، ط1، 1432هـ - 2011م، ص 233.

ج/التناص:

يعد التناص من أهم خصائص الشعر الإصلاحي، ويعرف التناص على أنه "يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى أي عملية تناص، ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى".[1]وعرفه "لوران جيني" بقوله "إن التفاعل النصي عمل تحويل وتسرب (استيعاب وتمثل) لعدة نصوص يقوم به نص مركزي يحتفظ بمركز الصدارة في المعنى".[2]

وللتناص عدة أنواع، لكن الأكثر حضورًا في النصوص الشعرية الإصلاحية هم: التناص الديني والتناص الأدبي، فالشعراء الإصلاحيون "كان لهم اطلاع واسع على التراث العربي، لاسيما مصادره الأصلية مثل: القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة".[3]

-**التناص الديني:** يعد التناص الديني أكثر حضورًا في الشعر الإصلاحي، فقد اهتم الشعراء الإصلاحيون بالجانب الديني، وبطبيعة الحال سيتأثرون بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، "فجاءت دعوة الأدباء إلى الاعتناء بالقرآن الكريم، وهو يعد من أقوى عوامل الحياة الاجتماعية، وأكثرها تأثيرًا في الحياة الثقافية والرافد القوي والمنبع الثري للثقافة العربية...، ومن الطبيعي أن يتأثر به الشعراء الجزائريون كما يتأثر به أسلافهم من حيث اللغة والرأي

---

[1]صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2002، ص 162.

[2]سليمان كاصد، عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية)، دار الكندي للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص 242.

[3]أحمد العياضي، الشعر الجزائري الحديث، ص 47.

والأسلوب، خاصة وأن الشعر الجزائري الحديث ذو علاقة بالحركة الإصلاحية، المهتمة بالحياة الدينية".[1]

وجاء هذا الاهتمام بالقرآن الكريم "استجابة طبيعية للرسالة التي يحملها رجال الإصلاح وهم يقاومون تيار الثقافات الأجنبية الدخيلة"[2]، وأدى هذا الاهتمام بالقرآن إلى انعكاسه في آثار الشعراء، يقول محمد ناصر: "هذه العناية بالقرآن الكريم قد تركت بصمات واضحة في أساليب الكتابة لدى الأدباء الإصلاحيون، الشعراء منهم والكتاب على حد سواء.[3]

وقدولى الشعراء الإصلاحيون وجوههم شطر القرآن الكريم فقد علموا بأنه هو المنقذ من الضلال وهو الدواء لكل ما يعانيه الشعب الجزائري، وهكذا فقد "كان اتجاه زعماء الإصلاح إلى القرآن حتمًا مقضيًا لأن فيها مجتمعه وفيه الغنية عما يطالبونه من الأساليب والبيان الذي يساعدهم على الرفع من مستواهم الأدبي وزادهم اللغوي".[4]

ومن أمثلة الاقتباسات في الشعر الجزائري الحديث، يقول "أحمد سحنون":

من يتحلى بثوب التقــى يجد مخرجًا وينل ما طــلب

---

[1] أحمد العياضي .الشعر الجزائري الحديث، ص 22.

[2] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 43.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] محمد ناصر بوحجام، أثر القرآن الكريم في الشعر الجزائري الحديث (1925-1976)، ج1، المطبعة العربية، الجزائر، 1992، ص 28.

ويلق رضا الله من جنده ويرزقه من حيث لا يحتسب.[1]

فيقتبس الشاعر هذه الأبيات من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[2]صدق الله العظيم.

ويقول محمد آل خليفة:

في سبيل التعليم أعطـوا دراهمًـا وفي سبيل التعليم تعطى الدراهم

ومن يوق شحَّ النفس لم يكن آثمًا ولا قاسرًا إن بان بالخســـر آثم.[3]

فالشاعر هنا يقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[4]

-**التناص الأدبي**:هو النوع الثاني الأكثر حضوراً في الشعر الإصلاحي، والتناص الأدبي "هو أن يضمن الشاعر شيئًا من شعر الغير".[5]

والشعراء الإصلاحيون يعتمدون كثيرًا على الأدب العربي القديم، هذا لأنهم رأو في النموذج القديم المثل الأعلى في نظم قصائدهم، وهذا راجع إلى عناية الحركة الإصلاحية بالتراث، فقد كانت النهضة الأدبية في تقديرهم مبنية على أسس التراث العربي القديم، وهي

---

[1]محمد ناصر بوحجام .أثر القران الكريم في الشعر الجزائري الحديث، ص 63.

[2]سورة الطلاق، الآية 2-3.

[3]ديوان محمد العيد، ص 148.

[4]سورة الحشر، الآية 09.

[5]علي ابن ظافر الأزدي، شرح شواهد التلخيص، ج 2، المطبعة البهية، مصر، د ط، 1316هـ، ص 170.

يرون: "بأنه لا يمكن للغة العربية أن يرقى في ألسنة أبنائها ما لم تستمد رقيها من روائع فحول الأدب العربي القديم".[1]

فأغلب الشعراء الإصلاحيون اعتمدوا في نظمهم على كتابات وآثار الشعراء القدامى، فقد رأوا فيه النموذج الأعلى والأرقى، وهو السبيل في تحقيق نهضة أدبية في الجزائر، ونجد زعماء الإصلاح يدعون الأدباء الشباب إلى الاعتناء بالأدب العربي القديم، فيقول البشير الإبراهيمي ناصحًا لهم: "أن يدمنوا القراءة لآثار فصول الكتاب من قدماء ومحدثين، وأن يحملوا أقلامهم على احتذائها بالتدرج، وأن يكتثروا بحفظ اللغة الأدبية، ويتبصروا مواقع استعمالها في التركيب".[2]

وكمثال على ذلك يقول محمد العيد آل خليفة:

من فيكم يحيى خلالاً أربعًا يحيى الجزائر بالخلال الأربـــع

صدق العتيق وعزّة الفاروق في حلم ابن عفان وعلم الأصلع.[3]

فأبيات "محمد العيد" تتناص مع قول ابن تمام:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إيّاس.[4]

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص 127.

[2] أحمد العياضي، الشعر الجزائري الحديث، ص 29.

[3] ديوان محمد العيد، ص 149.

[4] ابن رشيق الحسن، العمدة في محاسن الشعراء وآدابه ونقده، ج1، تحقيق: محمد محي عبد الحميد، ط2، 1955، ص 129، نقلاً عن أحمد العياضي، الشعر الجزائري الحديث، ص 31.

إلى جانب التأثير بالأدب العربي القديم، نجد نفرًا آخر من الشعراء الإصلاحيين متأثرين بأمثالهم من المشرق، متمثلة في مدرسة الإحياء والبعث، فقد أعجب شعراء الجزائر بشعر أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وحمود سامي البارودي وغيرهم، فبدأو بتقليدهم ومحاكاتهم، يقول البشير الإبراهيمي: "حمل أولئك النفر من مصر ومن تونس إلى الجزائر قبسًا خافتًا من الأدب العربي، كان كافيًا في تحريك القرائح والأذهان، وقارب ذلك أو سبقه بتقليل وصول الآثار الأدبية الجديدة من شعراء الشرق المجلين وعرفت الجزائر شعر شوقي وحافظ ومطران والرصافي، وما انتهت الحرب العالمية الأولى حتى كانت تلك المؤثرات المختلفة قد فعلت فعلها في نفوس الناشئة التي هي طلائع النهضة الأدبية".[1]

ونجد نفرًا آخر من الشعراء قد تأثروا بالأدب الرومانسي الهجري نتيجة احتكاك الأدباء الجزائريين بالآداب الغربية والاستفادة منها، فتأثروا بكتابات جبران خليل جبران، وخليل مطران وإيليا أبو ماضي، وفيكتور هيجو وغيرهم من الشعراء الرومانسيين.

فنجد "حمود رمضان" يدعوا للاستفادة من الآداب الغربية إيمانًا منه بأنه إحدى السبل في بحث الأدب الجزائري الحديث، مركزًا في ذلك على الاعتماد على الترجمة "فهي من أركان الأدب التي لا يستهان بها، فإذا كان أدب كل أمة هو مجموع تأثيراتها القلبية

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 28-29.

وانفعالاتها الروحية، وزبدة تمخضات (بلغائها، كالرأس من بقية جسدها، فالترجمة والنقل الصحيح من لغة أجنبية إليها عينا تلك الرأس".[1]

ويقول: "هي إحدى الطرق التي يسلكها الأديب المتفنن نحو مدينة البيان وسحر الكلام، وهي الرابطة بين الأمم قديمًا وحديثًا لا غنى لإحداها عنها ومن فوائدها التأثير على الأدب فإنها تقع عليه وقوع ندى الصباح على الوردة الباسمة".[2]

فالترجمة إذاً هي من وسائل التأثير والتأثر في الأدب وجب العناية بها.

وأكد رجال الحركة الإصلاحية على فائدة الاستفادة من آداب الأمم الأخرى، يقول رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر عبد الحميد بن باديس: "لا ضر في الاقتباس من آداب الأمم الحية ما يزيد في ثروة اللغة وخيال أبنائها وتفكيرهم، واقتباس الألفاظ والأفكار والحقائق والخيالات والعلوم والمعارف ما خلت منه أمة في عصر من عصور حياتها، والجمود عن الاقتباس هو علامة الموت في الأمم".[3]

فالتناص إذًا هو من أهم خصائص الشعر الإصلاحي في الجزائر، أين نجده حاضرًا بقوة في القصائد الإصلاحية، وباختلاف مصادره (التناص الديني أو التناص الأدبي) واعتبره الشعراء الإصلاحيون من وسائل النهضة الأدبية.

---

[1] محمد ناصر. رمضان حمود حياته وآثاره، ص: 135.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] الشهاب، م6، ج2، مارس 1930، ص 125، نقلاً عن أحمد العياضي، الشعر الجزائري الحديث، ص 58.

المبحث 02: محاور الشعر الإصلاحي

بعد الأوضاع المزرية والكارثية التي آلت إليها الجزائر على مختلف الأصعدة (اجتماعيً، دينيًا، سياسيًا وثقافيًا) تفطن الجزائري إلى هذا الوضع المرير وخطورته، فسعى جاهدًا إلى إصلاحه وتغييره، والشعراء بكونهم جزءًا لا يتجزأ من المجتمع، وجدوا أنفسهم مسؤولين مثلهم مثل غيرهم من الجزائريين في إصلاح مجتمعهم والنهوض به، وبذلك حمل الشعراء الجزائريون لواء الإصلاح، داعيين بذلك في كتاباتهم وأشعارهم إلى الإصلاح وتغيير الأوضاع في مختلف المجالات (دينيًا، اجتماعيً وسياسيًا).

1/ الإصلاح الديني:

يعد الجانب الديني من أهم وأبرز الجوانب التي ركز عليها الشعراء الإصلاحيون في شعرهم إيمانًا منهم بأن الدين هو الركيزة والمنبع الأساسي لإصلاح المجالات الأخرى، وكان هذا الخطاب الإصلاحي "من أهم أنواع الخطاب في حياة الجزائريين المسلمين أثناء الاحتلال الفرنسي وحلول الأزمات... وانتشار البدع الدينية المبتعدة عن ينابيع العقيدة الإسلامية، ومن ثم فإن السبيل الأمثل للقضاء على تلك البدع هو الإصلاح الديني الذي يعد القاعدة الرئيسية التي ترتكز عليها الهوية وتستقيم بها حياة الفرد المسلم ومن ثم تستقيم حياة المجتمع المسلم".[1]

[1] أ سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، ص 98.

وقد انتشر هذا النوع من الإصلاح نظرًا لأوضاع الجزائر دينيًا، فقد شهدت الحياة الدينية في الجزائر تراجعًا رهيبًا، وهذا راجع للاستدمار الفرنسي على الجزائر وما خلفه من آثار سلبية وخصوصاً الجانب الديني منها، فقد استهدفت فرنسا العقيدة والدين الإسلامي، فعملت على تشويهه وتدميره، إضافة إلى عملاء فرنسا في الجزائر والمتمثلة بالدرجة الأولى في الصوفية المنحرفة، فهذين العاملين كان لهما تأثير كبير وخطير على الوازع الديني للجزائريين.

ومن هنا كان لزامًا على الشعراء أن يكتبوا أشعارً ذات طابع ديني يدعوا من خلالها إلى تغيير هذه الأوضاع.

والشعر الإصلاحي الديني هو الشعر الذي ساءه هذا التدهور العقلي في فهم الدين وحقيقة مبادئه وجوهر تعاليمه وآلمته هذه القطيعة المريعة بين الإسلام وأبنائه".[1]

وقد ركز الشعراء على الجاني الديني لأن أهم خطر يعصف بأمة جهلت دينها هو تشتت وحدة أبناءها وتفرق شملهم وهذا ما يؤدي إلى انتشار الفتن وتدهور الأوضاع وذلك إيمانًا منهم أنه "إذا صلح الدين واستقامت عقيدة الشعب صلح المجتمع كله".[2] ويقول محمد العيد آل خليفة:

[1] صالح الخرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1984، ص 47.
[2] حميدة بنت حفيظ قادوم، دراسات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص 25.

أفيقوا فهذا الدين بين ربوعكم ينازله الأحداث شر نـــزال

تحاول نكباء الضلالة نسفـه وترميه أشلاء الردى بنبـــال

فقوموا مقامات الدفاع حيالـه ليأمن هذا الدين كل ضلال.[1]

وهنا يدعو الشاعر "محمد العيد" إلى العناية بالدين الإسلامي والتصدي لكل من يترقد به وهذا إيمانًا منه بأنه إذا ضعف الدين وانتشر الضلال والانحراف ينحرف المجتمع ككل لأن الدين هو عماد المجتمع وركيزته.

"والشاعر يعتبر الشريعة الإسلامية الأساس في بناء النهضة الوطنية، لما تزخر به من فضائل ومحاسن لهذا نجده ينبه أصحابه ويدعوهم للتصدي لكل ما كان يحاك ضد الإسلام من مكاره قصد النيل منه."[2] يقول الشاعر "محمد العيد آل خليفة" في قصيدة له بعنوان "يا وادي اللسان":

شريعة الله أولى في الشرائع أن تمتاز عنها بتفضيل وريحان

وكيف ننسخ أن ننسى شريعتـه ونحن أمة إسلام وإيمـــان.[3]

وهنا الشاعر "محمد العيد" يدعوا إلى التمسك بالدين الإسلامي والشريعة السمحة، ويتعجب للوضع الديني في الجزائر، ودينها ودستورها الإسلام.

---

[1] ديوان محمد العيد آل خليفة، نقلا عن حميدة بنت حفيظ قادوم، ص 26.

[2]

[3] محمد العيد آل خليفة، ديوان، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2010، د ط، ص 288.

وفي قصيدة أخرى يسعى الشاعر إلى تصحيح معتقدات الناس وتنبيههم إلى الخطر الناجم عن ذلك، يقول:

يا أمة جهلت حقيقـــة دينهـــا فتفرقت فيها إلـــى أشيـــاع

العاصف الزعزاع من أهوائهـــا يشتد إثر العاصف الزعــزاع

في القاع ماء كيف شئت مباركٌ فرديه واطرحي سراب البقاع.[1]

وقد كان الشعراء يتأسفون على حال الجزائريين مع دينهم، ويدعون إلى الاهتمام والتمسك بعقيدتهم، يقول الشاعر "عيسى لحيلح" متأسفًا على الحالة التي آل إليها المجتمع الجزائري، يقول:

أفيقوافما تجدي لحانا إذا أصبحت حبالاً وكان القلب أمردًا أصفرًا؟

متى يا فتى الإسلام تتأثر غاضبًا وترفع قرآناً وتمضي مكبـــرًا؟

متى تستلذ الأرض دفء عقيدتي وأسحب ظلي في سناها معطرًا[2]

وإلى جانب ذلك نجد أن الإصلاح الديني في الشعر مردُّهُ إلى "حملة البدع والخرافات الوهمية التي انتشرت في البلاد".[3] ومردها إلى "الصوفية الجديدة التي انحرفت عن دين الحق

[1] ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 236

[2] ينظر، محمد بن قاسم ناصر بوحجام، دراسات عن الأدب الجزائري الحديث، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 2011، ط1، ص 2004.

[3] حميدة بنت حفيظ قادوم، دراسات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص 26.

إلى دين الباطل قد عمل على نشر تجهيل الشعب ونشر الأمية"[1] وكانت تزعم معرفة الغيب من باب الكرامات، فامتصت مال كثير من الجزائريين موهمة إياهم بخدمة الدين والعقيدة، وإنما كان ذلك تخديرًا لعقول الناس وخدمة لمصالح الصوفيين المرتزقة".[2]

وبذلك كانت هذه الأخيرة –الصوفية الجديدة- سببًا رئيسيًا في نشر الجهل بالدين الإسلامي في الجزائر، وهذا ما أدى بفئة الشعراء التصدي لهذا التيار، فنظموا العديد من القصائد لبث الوعي بين الجزائريين.

ومن المظاهر التي ظهرت لدى بعض الطرق الصوفية ظاهرة "الزردة" أو كما يسميها البعض "العيساوية"، إضافة إلى "صلاة الأربعاء الكحلة" أين يجتمع الناس خلف الإمام ويقرؤون أدعية خاصة، وكانوا يعتبرونها أفضل من صلاة العيدين".[3]

فتنبه الشعراء لهذه الظواهر واعتبروها شركًا بالله، فعملوا على محاربتها والتصدي لها لما لها من آثار سلبية وخطيرة، ويقول "محمد العيد آل خليفة" في هذا الصدد من قصيدته "كلمة في الرسالة" يقول:

واحذر شراك الشرك فهـي كثـيرة شتى المظاهر جمة الأنـــــواع

كم واقعُ فيهـــا ويحـــسب أنـــه في الدين حر العقد رحـب الباع

---

[1] أ. سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، ص 93.

[2] المرجع نفسه، ص 107.

[3] حميدة بنت حفيظ القادوم، دراسات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص 26 (بتصرف).

الشرك داء فـي البريـــة كامـــن مستفحل الأضرار والأوجـــاع

الشرك ستر حيك من نسيج الهوى غطى على الأبصار والأسمـاع.[1]

ويبدو أن تيار الإصلاح الديني تبلور أكثر مع تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 31 ماي 1931، هذه الجمعية التي عملت لواد الإصلاح، والهدف الرئيسي الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين هو "تمكين المسلمين الجزائريين من فهم العقيدة الإسلامية ليحسن تطبيقهم تعاليم الإسلام وأحكامه ويبعدهم عن مزالق الشرك والبدع والخرافات التي قد أشبعت العقول ضلالاً".[2]

والنقطة الأساس عند علماء جمعية العلماء المسلمين هي "المطالبة بالرجوع إلى الكتاب والسنة، ويرى رئيس جمعية العلماء المسلمين "عبد الحميد ابن باديس" أن نقطة البدء في أي إصلاح هي تطهير العقائد من الشرك والأخلاق من الفساد".[3] وذلك نابع من إيمانهم القوي أن إصلاح الدين والعقيدة هو الركيزة الأساسية في إصلاح باقي مجالات ومناحي الحياة الأخرى، وقد ركزوا في دعوتهم هذه بالدرجة الأولى على المصدر الأساس وهو القرآن الكريم، وهو مصدرهم في التوجيه والتوعية والإرشاد، يقول "عبد الحميد بن باديس" إننا والحمد لله نربي تلاميذنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إلى القرآن من أول يوم،

[1] محمد العيد آل خليفة، ديوان، ص 133.

[2] أ. سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، ص 150.

[3] سليم مزهود .الخطاب الاصلاحي عند مبارك الميلي، ص 150.

وغايتنا التي ستحقق أن يكون القرآن منهم رجالاً كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودهم.[1]

"ولم يتردد في الاتجاه إلى المنبع الأصلي والدستور السماوي للإسلام، فمن القرآن كان المنطلق الأول في صقل أذهان الناشئة في المدرسة، وعقول العامة في المحافل والمواسم واستبعاد الغشاوات المضللة، وجعلها تتهافت على هدي من وضوح تعاليمه، وانجلاء سوره وآياته".[2]

2/ الإصلاح في المجال الاجتماعي:

من أهم ساعات العمر يقف فيها أخ يحادث إخوانه عن بساط الشعور المشترك والإخلاص في القول، يتلوا عليهم ما فيه من العبرة، يدعوهم إلى نبذ موجات التفرق في هذه الحياة وهي أداء الواجب الاجتماعي.[3]

كان الشعب الجزائري ما بين العشرينيات والأربعينيات شبه منفلت من عصره ومشبع بالأفكار البالية في مجال العلم والاقتصاد والتبادلات الاجتماعية، ويعود السبب الرئيسي لهذه الحالة قانون الأهالي الرهيب الذي حال دون تزود الإصلاحيين بما ينبغي من المادة العلمية والمعرفية الكافية التي تمكنهم من تحقيق رؤية واضحة للمشاكل الطارئة ومن ثمة فقد كان

---

[1] ينظر، محمد ناصر بو حجام، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث (1925-1976، ص 29.

[2] صالح الخرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 47-47.

[3] أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ص50.

ملجئهم الوحيد هو التقيد بالمفهوم السلفي للاصلاح الديني وانحصر أهلهم فيه، فكانوا يرون بأن العودة للإسلام الصحيح حو الحل الوحيد لكافة المشاكل التي تعترض حياة الإنسان.[1]

لقد مضى على هذه الأمة البائسة أحقاب طوال كانت تتخبط في ظلام كثيف، لا ترى في تلك الأجواء الحالكة، إلا غيوما من الأوهام متراكمة وسحبا من الخيالات من الخيالات منتشرة .... لا تدري وسيلة تقربها لربها غير الفزع لسكان القبور ومستعمري الأضرحة وإذ شعرت بضر منها هرعت إلى الجدران، داعية لها أن تكشف ما بها من ضر.....[2]

بالرغم من تلك الظروف الخانقة التي حلت بالمجتمع الجزائري وجعلته خاضعا للاحتلال الفرنسي.... إلا أن ظهور الخطاب الإصلاحي بعث الأمل والتفاؤل في زمن اليأس بالرغم من الآلام وضيق الأزمة لكنها الأزمة إذا اشتدت فرجت، إذ تحرك مع هذه الظروف القاسية الضمير الإصلاحي عند العلماء المسلمين الجزائريين.....[3]

إضافة إلى ما كان يعانيه المجتمع الجزائري في ذلك الوقت من عسر المعاش وتضور الناس جوعا، حيث عاش المجتمع الجزائري المعاناة بكامل معانيها وقد عبرت جريدة

---

[1] الخطيب أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1985، ص 223.

[2] مجموعة جريدة البصائر، السنة الأولى، ديسمبر 1935-ديسمبر 1937، ص 23.

[3] سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، ص 109-110.

عربية عن تلك المأساة التي عاشها الجزائريون بقولها« أي قلب حر لا تدميه الحالة التي نحن فيها اليوم، جهالة فتعاسة ففقر مدقع فافتراق فذهاب إلى الحاوية ».[1]

فانطلقت الحركة الوطنية لتعمل على إحياء المجتمع الجزائري، وتوقض فيه الشعب، وتنبه روحه لأن الإصلاح الحقيقي الناجح هو ذلك الذي ينطلق من النفس الإنسانية مصداقا لقوله تعالى: « إن الله لا يغير بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»[2]

واستطاعت الحركة الإصلاحية بجهود عظيمة وتضحيات جسام تكلؤها عين الله وتساندها جهود الشعب، أن تنجح إلى حد بعيد في إنقاذ الأمة، وكانت تؤمن أن ما تستهدفه وراء ما تقوم به من تربية الجيل وتوجيه العامة ومقارعة الاحتلال من نهضة وطنية عامة ترمي إلى بعث المجتمع الجزائري في إطار المحافظة على مقومات شخصية وأصالته، وانطلاقا من هذا الشعور عملت هذه الحركة على « حشد وتنظيم طاقات الأمة ودفعها إلى الموفوق مرحلة المطالبة بالحقوق إلى مرحلة القيام بالواجبات، وتوجيه الشعب متطر الوجهة التي يحي فيها بضخامة الأعباء، فيعد نفسه على قدر النهوض بها وهذا ما يفسر لنا ما قامت به هذه الحركة من بناء المدارس وإصدار الهدف وتأسيس النوادي والجمعيات مما

[1] عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، 1931-1945، ص 87.

[2] سورة الرعد ، الآية 11.

أعطى لنشاطها الاصطلاحي طابعا خاصا كما أسهمت في تربية النشء بنين وبنات وتوجيهه لإنقاذه من مخاطر ما يدير له»[1]

وقد عمل الشعراء لواء الإصلاح في المجال الاجتماعي، بعد تدهور الأوضاع ومن المواضيع البارزة التي استقطبت اهتمام الشعراء، قضية المرأة الجزائرية المسلمة، فنجد مهد العبرة لخليفة يقول:

علموا المرأة الحقائق في الديـ ن. فقد طوحت بها الأوهام

علموها كيف الرعاية للطفـــ ل. وكيف التلقين والإلهـام.

علموها كوف التودـد لـــلزو ج. وكيف التقدير والإعظام

كيف تنجو من الشرور نسـاء لا يواري وجوههن لثـــام[2]

فنجد الشاعر هنا يدعو إلى تعليم المرأة وتبيين دورها الحقيقي في الحياة ويدعوها أيضا إلى الفقه والاحتشام.

ونجد أيضا موضوع العلم، فنجد معظم الشعراء الإصلاحيين يدعون إلى التعليم والإتمام به، كونه هو العلاج لداء الجهل والأمية المتفشية في الجزائر.

[1] محمد بن سمينة، صفحات من إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الوطنية الحديثة، دار مدني، ص 20 و 33.

[2] د.حسن علي أحمد، الأدب الإسلامي وقضاياه المعاصرة، دار هبة النيل العربية للنشر والتوزيع مصر، ط2، 2008، ص 65.

يقول في هذا الصدد الشاعر "سعد الدين بن الخمار" معتبرا عن أهمية العلم ودوره في رقي المجتمعات، يقول:

الله أكبر نور العلم وضـــــاح والخلائـق أمـــراح وأفـــــراح

والكون بيت عديم النور محجب والعقل زيت وهذا العقل مصباح

والعقل رتل تسير الكهرباء بـــه كما تسير بهـذا الشبـــح أرواح[1]

اهتم الشعراء أيضا بقضية الشباب، فنتيجة إلى الانحرافات السلوكية والأخلاقية التي كان يمارسها، فنقدوا هذه السلوكات ونبهوا إلى عواقبها داعين في الوقت نفسه إلى الإصلاح، يقول الشاعر "مفدي زكرياء":

أمانا من الخطـــر التداهـــم ومن معول قاصـــف هادم

غزى المذهيتون عقل الشباب بمشـورة أخـــــن أثـــم

وزاغوا بهم دون إسلامـــــهم إلى مذهب، ليس بالسالـم

ودستوا شيوعية كالوبـــــاء كما يصرف، السم للطّاعم

وقالوا التقدم شرع الحيـــاة وكم ركض، الحلم بالنائـم[2]

فنجد الشاعر هنا يتأسف لحال الشباب، انحرافهم عن سواء السبيل، وتركه للإسلام وانخداعه بالمذاهب الهدامة المستورة من خارج البيئة الإسلامية.

[1] عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، (مرجع سابق)، ص 693.

[2] محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، دراسات عن الأدب الجزائري الحديث (مرجع سابق.)، ص 280.

نجد موضوع الآفات الاجتماعية حاضرا في القصائد الإصلاحية، فقد عمل الاستعمار على تشجيع الانحلال وتيسيره للشعب الجزائري، فانتشر ذلك الفساد بمختلف أنواعه، فنجد "محمد العيد آل خليفة" يبين مخاطر الخمر على المجتمع، يقول:

الخمر شربة رجس أم أرجـاس الخمر صاعقة تهوي علـى الرأس

ما الخمر إلا ظلام للنفوس فلا يغررك منها شعاع لاح في الكأس

على الفؤاد بها النيران موقـدة وفي الجماع لها دقات أجـــراس

وكيف تطفئ نبراسا حباك بـــه رب البرايا وتبقـــى دون نـــبراس

فحطم الكأس واهجر كل رفيقتها نعش سعيدا وتأمن ألسن الـــناس[1]

3.الإصلاح في المجال السياسي:

انتشرت في الجزائر نوادي كثيرة، فلا نجد مدينة خالية من ناد يرتادها (النز) الشيوخ والمصلحون ويتناقشون في الشؤون السياسية وغيرها وقد قال الشيخ الإبراهيمي أنه« كان لدى جمعية العلماء وحدها أكثر من سبعين ناديا تحمل رسالتها وتضم أتباعها ومثل هذا يقال في نوادي حزب الشعب وحزب البيان...[2] »

ففي مدينة البليدة كان يوجد نادي النهضة 1932، وفي مدينة سكيكدة كان هناك نادي العمل 1936، الذي كان يرأسه الشيخ عبد الحميد ابن باديس وقد كان يقوم برسالة نحو السياسة، وفي تلمسان كان النادي الإسلامي ونادي التبيية وكان معا مجالا للدعوة

[1] ديوان محمد العيد (مرجع سابق،.) ص 281

[2] أبو القاسم سعر الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 116.

الإصلاحية والانبعاث الوطني وفي سطيف كان نادي الإرشاد الذي كان يرأسه فرحات عباس، وفي شرشال نادي الإخوة وفي العالمة نادي التبيبة وفي قسنطينة نادي بن باديس، ومن الملاحظ أن هذه النوادي على اختلافها كانت تشغل في أوقات معينة للإرشاد، كرمضان وأيام الانتخابات وبعض الأزمات السياسية محلية كانت أم خارجية.

ونجد أيضا جمعيات وطنية كبيرة مثل جمعية العلماء المسلمين التي أعلنت رسميا سنة 1931 برآسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس وقد لاقت هذه الجمعية في أول الأمر (معاناة) مضايقات شديدة ولكن سرعان ما تطورت (فكرتها) وكثر إتباعها.[1]

وكل ما نريد من هذا هو إعطاء عينات للقارئ حتى تكون لديه فكرة عن مجالات:

وحدة الشعب: من الموضوعات السياسية الهامة التي كتب فيها القراء فالقادة السياسيون حاولوا أن يبرزوا هذه الروح، وأن يربطوا أفراد الشعب نفسيا، وزرع الثقافة السياسية والوطنية في نفوسهم، كل هذا للإشادة بالمصير الواحد والتذكير الدائم بالعدد الواحد، يقول محمد العيد في قصيدة عنوانها أبي الله إلى أن يهضم قلوبنا.

وهبتك روحي يا جزائر فأمـــري كما شئت أفي خاضع لك خادم

حماك ربيع لي وإن كان جاحما على وهل يصلي خليلك جاحم[2]

لرئيس الشاعر وهو يقوم برسالة أن يؤدي واجبه في التحميس وإثارة القلوب وشحذ الهمم، لقد أرسل الشاعر مجموعة أسئلة استفزازية تضمنت مقارنات الظالم المجهول بنفوس

[1] أبو القاسم سعد الله .دراسات في الأدب الجزائري الحديث ،ص 116.

[2] المرجع نفسه، ص 158.

الأحرار، الذي لا يقدر العواقب ولا يدري النتائج التي تنقلب عليه، هذا العرض هو إشارة للنفوس الحرة كي لا تقبل بحياة الذل، ولا ترضى بالقعود عن النضال لتغيير الأحوال.[1]

عبروا من خلال ما كتبوا عن اعتزازهم بوطنهم باستمساكهم به ومعادتهم عن الدفاع عنه، وفي المقابل بينوا أن عدم الإخلاص للوطن يعين الاستعمار على البقاء في الجزائر في هذا المعنى كتب ابن عمر صالح بليدي مقالا بعنوان " تضليل الشعب تثبيت للسياسة الاستعمارية "[2]

إن القيادة الحسنة تقوم على الشخصية القوية والكفاءة المرموقة وعلى الحزم بعد الشورى وهذا ما توفر في الإمام المصلح عبد الحميد ابن باديس، حيث تمكن من جمع أهل العلم والتعاون معهم، فاستطاع كل واحد من أقطاب الجمعية أن يتقمص روح الإمام وشخصيته ويسير بكل اخلاص على النهج الذي رسمه والروح التي يمتاز بها كالإبراهيمي والميلي والتبسي والورثلائي وغيرهم، فكان ارتباط كل واحد فيهم ارتباط روح بروح وقلب بقلب ومصير بمصير من أجل أن تتحدد الأمة من الجهل والاستعمار وأن تنطلق في بناء الحياة ووضع التاريخ.[3]

وقد لقيت هذه المساهمات صدى واسعا في أوساط الشعب الجزائري فبادروا بالعمل وساندوا بعضهم البعض، وتأسست الجمعيات العلمية والحركات السياسية، وازدادت ثقة

---

[1] محمد بن قاسم، ناصر بوحجام، دراسات عن الأدب الجزائري الحديث(مرجع سابق)، ص 241-242.

[2] (المرجع نفسه)، ص 179

[3] الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، طبعة جديدة، ص 20-23.

الشعب بنفسه وبدأ يعي حقيقة الوضع الذي يعيشه واستمرت حركة الإصلاح السياسي تنشط إلى أن قامت الثورة الجيدة وكللت بالانتصار والنجاح.[1]

المبحث 3: أهم أعلام الشعر الإصلاحي:

لقد عرف التوجه الإصلاحي مجموعة كبيرة من الشعراء، ولكن بدورنا سنكتفي بذكر ثلاثة منهم:

1.الشيخ عبد الحميد ابن باديس (1889-1940م)

هو عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس، ولد في الأسبوع الثاني من شهر ربيع الثاني سنة 1307 هـ الموافق ليوم 04 ديسمبر 1889 بولاية قسنطينة، ينحدر من عائلة عريقة في النسب، اشتهرت بالوضوح في العلم، والنفوذ في السلطة يقول البشير الإبراهيمي عنه " [2] وبيت بن باديس في قسنطينة بيت عريق في السؤدد والعلم، ينتهي نسبه في سلسلة كعمود الصبح إلى العز بن باديس مؤسس الدولة الضهاجية الأولى التي خلق الأغالبة في ملكة القيروان، ومدت ضلها على شرق الجزائر حينا من الدهر" وقد أشار ابن باديس بانتمائه لهذه الأسرة وباهتمام والده الذي أبى أن ينشئه في بيئة عربية إسلامية، بعيدا عن التعليم الفرنسي وفي ذلك يقول ابن باديس " إن الفضل يرجع أولا إلى

[1] ينظر حفيظة بنت حفيظ قادوم، دراسات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص 37-38-39.

[2] عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخير، تحقيق توفيق شاهيني، محمد صالح رمضان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1979م، ص 77.

والدي الذي رباني تربية صالحة... ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشربا أرده، وفاتني وأعاشني ويراني كالسهم.... وكفاني كلف الحياة "[1]

ثم بعث به إلى الكتاب القرآنية ليحفظ القرآن، وفي سنة 1903 اختار له العالم المتصوف القسنطيني، الشيخ العلامة أحمد أبو حمدان الونسي مدرسا له حيث لازمه لمدة خمسة أعوام نهل من خلالها معارف عطية، وفي سنة 1908 ارتحل إلى جامع الزيتونة بتونس لمواصلة تعليمه، قضى فيها أربع سنوات طالبا ومتعلما، كما تعرف على ثلة، من المشايخ هناك أمثال محمد النخلي القيرواني وغيره فتأثر بفكرهم السلفي[2]، توسعت مداركة فأثرت في توجيهه الإصلاحي، فأصبح جنديا من جنود الجزائر سلاحه العقل والقلم واللسان، جديته في الجمع والتحصيل العصي وتميزه بالفهم أثار إعجاب شيوخه وكبار الطلبة الذين تأثروا بتلك المناقشات الجادة، التي أضافت على رصيدهم الكثير.[3]

وفي عام 1913 عاد أدراجه إلى الجزائر، ليثبت دعائم المدرسة السلفية الإصلاحية لأول في أرض الجزائر، وليعلم ويحور الشعب من قيود الجهل والأمية وقد لاقى هذا المشروع تجاوبا من طرف الأمة الجزائرية ونمكن من إعداد طابعة من الشباب، كفضيل الورثلاني والمبارك الميلي وهذه شهادة البشير الإبراهيمي الذي عاين النتائج بنفسه "ورأيت

---

[1] عبد الحميد ابن باديس، مجلة الشهاب، مج14، ج4،5، عدد جوان وجويلية، سنة 1938، ص 288-291.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، 1900-1962، ص 74-75.

بعيني النتائج التي تحصل عليها أبناء الشعب الجزائري ...وان هذه الخطوة المسددة التي خطاها ابن باديس هي حجر الأساس في نهضة عربية في الجزائر "[1]

توفي الإمام عبد الحميد ابن باديس يوم الثلاثاء ربيع الأول 1359هـ الموافق لـ 16أفريل 1940م ،وقد حام حول وفاته الكثير من الشكوك ،منه من يوعز سبب وفاة إلى خوف الإدارة الاستعمارية منه ، بعد تصريحاته الثورية ضد فرنسا التي كانت في وضعية لا تحسد عليها بسبب تعرضها لهجوم الألمان بداية شهر أبريل 1940 م .[2]

- آثاره:

إن معظم آثار عبد الحميد بن باديس الباقية تلك التي نشرها في الصحافة سواء التي ظهرت في بعض الصحف الوطنية والإصلاحية، وفي الشهاب خاصة وسع دائرة نشاطه التعليمي لمخاطبة شعب الجزائر، فكرس افتتا حينها لنشر مختارات من دروسه التفسيرية تحت عنوان "مجالس التذكير" وفي مجال تأليف الكتب فكفاحه المخلص من أجل تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي حال دون نتاج مؤلفات علمية متخصصة موضوعية، وإن صدر له بعض الكتيبات (كالد) كالدور الغالية في أدب الدعوة، وكذلك مبادئ الأصول، وقام تلميذاه محمد الصالح، وتوفيق محمد بجمع دروسه تحت عنوان نفسه مجالس التذكير، ثم طبعا الكتاب ونشراه عام (1368-1948م)، هذا فضلاً عن تحقيق وتقديم ابن باديس نفسه

[1] محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، 1954-1964، دار الأمة الجزائر، 1994، ص 2116.

[2] أحمد عيساوي، أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر، دار الكتاب الحديث، القاهرة ، ط1، 1433هـ.2012 م، ص 156

لكتاب الإمام ابن بكر محمد ابن عربي "العواصم من القواصم"، كما ترجم لرموز شخصية من أعلام السلف، ظهرت في صفحات مجلة الشهاب ثم جمعت تحت عنوان تراجم أعلام[1]، ومن أعماله أيضاً تفسير القرآن، شرح الحديث، تربية وتعليم، خطب، شعر، فقه وفتاوى.[2]

- نماذج من مخلفات ابن باديس:

أ/ رفضه فكرة الاندماج: حيث قاوم فكرة الاندماج فأبى إلا أن تكون الجزائر مسلمة عربية فقال:

شعب الجزائر مسلـــم وإلى العروبة ينتســـب

من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كـــذب

أو راما إدماجًـــا لـــه رام المحال من المطلـب

يا نشء أنت رجاؤنـــا وبك الصباح قد اقتـــرب

خذ للحياة سلاحهـــا وخض الخطوب ولا تهب

ويقول أيضًا مع نهاية القصيدة:

[1] الدكتور فهمي توفيق، محمد مقبل، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، بدون طبعة، دون تاريخ، ص 29.

[2] د.عمار طالبي، أثار ابن باديس، الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بودواو، الجزائر، الطبعة الثالثة، 1997، ص 98.

هذا لكم عهـــدي به حتى أوسد في الثرب

فإذا أهلكت فصيحتي تحيا الجزائر والعرب.[1]

ب/ الحرية: في عيد الحرية في فرنسا: في 14 نموز 1939 قال:

"أيتها الحرية التي يتغنى بمفاتنك الشعراء، وتسفك في سبيلك الدماء أين أنت في هذا الوجود... كم قوم نصبوا لك التماثيل في الأرض، وقد هدموك في القلوب والعقول !فتشت عنك في الشعوب القوية، فوجدت العتاة الطغاة قد قيدتهم الأطماع في تراث الضعفاء، فتشت عند في الشعوب الضعيفة، فوجدت الأنصار والمرهقين قد كبلهم استبداد الأقوياء. آه.. آه أيّتها الحرّية المحبوبة واشوقاه إليك، بل واشوقاه شهدائك المحيا محياكم، والممات مماتهم".[2]

ج/ موقفه من الاستعمار في محاولته لمنع التعليم: أعلن فيه عزمه على المقاومة بكل قوة قائلاً: "أننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية عقدنا على المقاومة المشروعة، وعزمنا وسنمضي بحول الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا ولن يصدنا عن ذلك شيئًا، فنكون قد شاركنا في قتلها بأيدينا وأننا على يقين من أن العافية وإن طال البلاء لنا وأن النصر سيكون حليفنا".[3]

---

[1] محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، د ت، بدون طبعة، ص 294.

[2] المرجعنفسه، ص 294.

[3] عمار طالبي، آثار ابن باديس، ص 119، 120.

استطاع ابن باديس وبمساعدة إخوانه من العلماء أن يقوم بتكوين أمة وتبصيرها بشخصيتها والحفاظ على هويتها ومقوماتها فقام بعملية التربية والوعي التي تعتبر أعمق نشاط أداه في أحسن وجه.

2/ محمد العيد آل خليفة:

هو محمد العيد بن محمد بن خليفة ولد في مدينة عين البيضاء في 28 آب 1904[1]، وهو من الشعراء القلائل الذين جمعوا بين الشعر الأصيل والزهد الحقيقي، فقد سئل مرة كيف يقضي أوقات فراغه فأجاب: العبادة وقيام الليل... وأسرة محمد العيد تنحدر من عرش المحامد والمناصر الذين استوطنوا صحراء وادي سوف في زمن غير محدد قادمين إليها من ليبيا.[2]

واصل تعليمه الابتدائي في أحد مساجد بسكرة ثم تتلمذ على يد الشيخ علي بن إبراهيم الذي أثر عليه تأثيرًا بليغًا، ثم توجه محمد العيد إلى تونس لمواصلة دراسته في جامعها الأعظم، لكن قد رسخت قدمه في قرض الشعر قبل التوجه إلى تونس، فقد بدأ فرض الشعر وعمره سبعة عشر عامًا، عندما كان ينظم في الإخوانيات.[3]

---

[1] د. نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار الأصالة للنشر والتوزيع الخرايسية، الجزائر، بدون طبعة، 2009، ص 403.

[2] محمد بن سمينة، محمد العيد آل خليفة، دراسة تحليلية لحياته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 7.

[3] ينظر، د. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 2005، ص 21.

فالحياة العلمية والصحية لم تكن سهلة عليه في تونس، أما أثرها فكان قوياً، وهناك تأثر بشيوخ بارزين أمثال محمد الحبيب، وعثمان بلخوجة ونظرًا لهذه الصلة الثقافية الوطيدة ظل وفيًا لتونس ولآدابها.

ومن الشعراء الذين حفظ لهم كثيرًا شعراء الجاهلية وصدر الإسلام مرورًا خاصة بالبحتري والمتنبي، كما قرأ أيضًا لحافظ إبراهيم.

في خريف سنة 1920 ظهرت ميول محمد العيد الإصلاحية ففي صدى الصحراء نشر افتتاحية تحمل هذا العنوان "نهضتنا اليوم وكيف يجب أن تؤسس، ومرت الأيام ثقيلة عليه فحداثة سنه لا تسمح له أن يكون شيخًا، لكن ضوءًا لاح له في الأفق عندما طلبت جمعية الشبيبة الإسلامية من الشيخ ابن باديس البحث لها عن معلم وبحكم معرفة ابن باديس لأراء محمد العيد، وافق على العمل فشكل بداية مرحلة جديدة من حياته وابتدء معلمًا في الجمعية سنة 1928 وبقي في هذه المدرسة اثني عشرة سنة.[1]

تزوج محمد العيد آل خليفة ابنة عمه التي كانت من مواليد الشام وتوجه سنة 1947 إلى عين مليلة وظل فيها إلى قيام الثورة، وقد ظهرت في أشعاره الدعوة إلى الوحدة الوطنية، وعدم الانتماء لأي منظمة أو حزب معين.[2]

---

[1] أبو القاسم سعد الله .محمد العيد آل خليفة شاعر الجزائر، ص21.

[2] محمد بن سمينة، محمد العيد آل خليفة –دراسة تحليلية (المرجع السابق)، ص 57، بتصرف.

وبعد اندلاع الثورة ألقي القبض عليه وزج في السجن، وفرضت عليه السلطة الاستعمارية الإقامة الجبرية، فلبث بها معزولاً، إلى أن فرج عليه الله تعالى وعلى الشعب الجزائري بالتحرير والاستقلال.

توفي في 07 رمضان 1399هـ الموافق لـ 31 جويلية 1979م بمستشفى باتنة، ودفن في بسكرة رحمه الله.[1]

- **أدبيات وفلسفيات**: تتكون من ثماني وعشرين قصيدة ومقطوعة واحدة في ثمانمائة وسبعة وثمانين بيتًا.

-**إسلاميات وقوميات**: تتكون من ست وأربعين قصيدة في ألفين وأربعمائة وثلاثة وسبعين بيتًا.

- **أخلاقيات وحكميات**: تتكون من أربع عشر قصيدة ومقطوعتين في أربعمائة وسبعة وسبعين بيتًا.

-**اجتماعيات وسياسيات**: تتكون من ثماني وعشرين قصيدة في تسعمائة وثمانية وخمسين بيتًا.

- **اللزوميات**: تتكون من ست عشرة قصيدة وستة مقطوعات ونتفة واحدة في مائتين وإحدى عشر بيتًا.

[1] الشعر الجزائري المعاصر (شعر ما قبل الاستقلال) مجلة أدبية ثقافية تصدرها وزارة الثقافة، ص 51-52.

-**الإخوانيات**: تتكون من اثنتي عشر قصيدة ومقطوعتين ونتفتين، وفي مائتين وبيتين اثنين.

- **الثوريات**: تتكون من اثنتي عشرة قصيدة في أربعمائة وسبعة أبيات.

- **المراثي**: تتكون من خمس عشرة قصيدة ومقطوعة واحدة في خمسمائة وتسعة وعشرين بيتًا.

- **الذكريات**: تتكون من خمس قصائد في مائتين وثمان وستين بيتًا.

- **المتفرقات**: تتكون من ثلاث عشرة قصيدة وتسع مقطوعات وثلاثة وعشرين نتفة في مائتين وتسعة وتسعين بيتًا.

-**الألغاز**: تتكون من خمس قصائد وأربعة مقاطع في اثنين وستين بيتًا.

- **الأناشيد**: تتكون من عشر قصائد ومقطوعة في مائتين وأربعة وعشرين بيتا.

وبلغ المجموع الإجمالي: مائتين وأربع قصائد وست وعشرين مقطوعة وست وعشرين نتفة في ستة آلاف وتسعمائة وسبعة وتسعين بيتًا.

نماذج من القضايا الإصلاحية التي تناولها محمد العيد آل خليفة:

أ/ في مجال السياسات والاجتماعيات: يقول في قصيدة عنوانها "يا فرنسا"

يا فرنسا بك الجزائر قد لاذت وأكن تلك الولاء الشديـــــدا

فإن فيك اليسار فاليوم لا عسـ ر أليس اليسار فألا حمـــيداً

فإن فيك اليسار فالأمة اليـــو م ستفدي بما عسى أن يفـيدا

فإن فيك اليسار فاقتربت مـنـ ك وناطت بك الرجاء الوطيدا

أجمعت أمرها مؤتمر الشـــــعـ ب فوقته مهرجانا وعيداً

صرخ فيك الشعب صرخته الكبـ رى وناداك يسرد الفقيدا

ليس حقًا أن تحومي الشعب حقًا لقي النار دونه والحديدا

إلى غاية قوله:

نبتغي السلم والهدوء ونأبـــى أن يكاد امرؤ لنا أو يكـــــيدا

حسبنا العدل لأنهم بـــان نثـ أر من حـــــاكم بغى أو تفيدا

فدعي الماضي الحزين بما فيـ ـه وهاني الغد الرضى السعيدا.[1]

ب/ في مجال الثوريات: ومن القصائد التي يصف بها محمد العيد هذا الجانب قصيدة "من للجزائر" يقول:

يا مانع الجنبات هـــل برق على الجنبات هل

حييت من متلألـــــــئ بضيائه البصر اكتحل

ملأٌ على الأدب احتوى وعلى معالمه اشتمـــل

[1] محمد العيد، ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 294.

متبوؤ حـــلل التهـــا ني لابس حلل القبـــل

بعثت به أم اللغـــــى وعكاظ العرب الأول

المغرب ازدحمت بـــه خيل الرسول لها زجل

سبحان من يحيي البلى ما شاء من أمر فعل

في كل ظاهره رضـــى وبكل خافيه جـــــذل

وعلى وجوه القـــوم لمـ ـع مشرق بهو المقـل

إلى أن يقول:

فتبوؤوا بعلى العـــلى وتفيأوا ظلـل الظلـــل

وردوا الحياة لذيـــــذة عللا يساغ على نهـــل

ما الأفق أشرق بالنجو م سنًا وما البدر اكتمل.[1]

-**الدعوة إلى النضال والاستشهاد**: في قصيدة له (يبدأه) التي بدأها بالشكوى من سوء الحال الذي عليه الشعب، ثم يختمها بالدعوة إلى النضال والاستشهاد يقول:

أصابتنا الحوائج والرزايـــا واعوزت المرافق والرفـــود

[1] ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 294.

حفت أعناقنا الأغلال ظلماً وحزت في سواعدنا القيــود

وأعلنا المظالم والثكايـــــا فأخفتها الدسائس والسكيود.

وانفضت الرموس لنا هـزوا وأنكار وصعرت الخـــدود1

بعد هذه المظالم وهذا الشقاء ماذا بقي للشعب أن يفعله؟ بقي له طريق النضال ليحقق نصرًا وعزًا أو موتًا كريمًا.

فقم با ابن البـــلاد وانهـــــض بلا مهل فقد طال الرقــود

وخض يا ابن الجزائر في المنايا ت ظللك البنود أو اللحود[1]

وقد لبى الشعب هذا النداء وقام يمسح العار ليعيش عزيزًا، أو يموت موت الشرفاء الأبطال.

ومن الجوانب التي ركز عليها أيضًا في شعره هو الجانب الديني، فنجده يدعوا الشعب الجزائري للنضال من أجل دين الإسلام ونصرته، يقول:

فيقوا فهذا الدين بين ربوعكم تنازله الأحداث شر نزال

تحاول نكباء الضلالة نسفه وترميه أشلاء الردى بنبال

فقوموا مقامات الدفاع حياله ليأمن هذا الدين كل ضلال

[1] ديوان محمد العيد، ص294.

ولا تهملوا أمر الحياة فإنهـا حياة نشاط بل حياة جدال.[1]

وهكذا نلاحظ أن الشاعر كان مربيًا يربي النشء، وشاعر لسان حال الأمة، وهو في الوقت ذاته إمام يؤمر الطلاب والأساتذة في الصلاة، وهو إلى جانب هذا كله ينظم لقاءات ثقافية أسبوعية تشمل على محاضرات ومناقشات".[2]

ومن خلال كل ما قلناه يتضح لنا أن الشاعر محمد العيد آل خليفة كان من الأسماء اللامعة في مجال الشعر الإصلاحي، فكان همه الوحيد النهوض بمجتمعه في مختلف المجالات.

3/ البشير الإبراهيمي:

ولد بقرية رأس الوادي بناحية سطيف يونيو عام 1889، أتم حفظ القرآن على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي، والذي كان له الفضل في تربيته، ثم هاجر مع جده إلى المدينة المنورة عام 1911 عرج في طريقه على مصر واحتك بعلمائها ليصل إلى المدينة المنورة ويبدأ مشواره العلمي وتتلمذه مع كبار العالم الإسلامي هناك، وفي سنة 1917 انتقل الإبراهيمي إلى دمشق حيث دعته حكومتها لتدريس الآداب العربية بالإضافة إلى إلقاء دروس في الوعظ والإرشاد في الجامع الأموي، قرر العودة للجزائر سنة 1920، أقام بمدينة سطيف وأنشأ بها مدرسة ومسجدًا وفي هذه المرحلة تردد على مدينة تونس حيث كانت له

[1] حميدة بنت حفيظ قادوم، دراسات في الشعر العربي الحديث والمعاصر (مرجع سابق)، ص 25.
[2] محمد بن سمينة، محمد العيد آلآل خليفة، دراسة تحليلية لحياته، مرجع سابق)، ص 55.

هدافات في الأوساط العلمية والأدبية، وفي عام 1931 تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فوضع لها دستورها وقانونها الأساسي، في عام 1933 تكفل بالمنطقة الغربية من القطر، واختار مدينة تلمسان مركز لنشاطه المكثف وأدى فيها مدرسة الحديث سنة 1937.

قررت (فرنسا) السلطات الاستعمارية نفيه إلى آفلوا مطلع ح ع 2 وبعد أسبوع من نفيه تلقى خبر وفاة رفيقه عبد الحميد بن باديس رحمه الله، فتحمل قيادة الجمعية غيابيً، وبعد إطلاق سراحه عام 1934 أصبح قائدًا للحركة الدينية والعلمية في الجزائر. زج به في السجن بعد أحداث مويو 1945، وفي سنة 1946 استأنف نشاطه، ومرة أخرى سافر إلى الشرق العربي 1962 للتعريف بالقضية الجزائرية في الأوساط السياسية فكان سفيرًا للجزائر وصونها المدوي، ووجه يوم 15 نوفمبر نداءًا إلى الشعب الجزائري يدعوا إلى الالتفاف حول الثورة المسلحة.[1]

وبعد حصول الجزائر على الاستقلال سنة 1962 عاد الإبراهيمي إلى وطنه وألقى خطبتي أول صلاة جمعة من مسجد كتشاوة، حضرها شخصيات وطنية ووفود من مختلف أقطار العالم العربي الإسلامي، فحذرهم من مخلفات الاستعمار وخطورتها على مستقبل البلاد والعباد فقال: "قد خرج من أرضكم، ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم ولم يخرج من ألسنتكم، ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه".[2]

---

[1] د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (الجزء الأول 1929-1940) دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1997، بيروت، ص 9-13.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 52.

توفي الشيخ البشير الإبراهيمي يوم 20 ماي 1965، فودعه جموع الشعب التي جاءت من مختلف أنحاء البلاد إلى مثواه الأخير بمقبرة سيدي محمد بالعاصمة وقد حضر جنازته الكثير من الشخصيات الوطنية، والعالمية على رأسها هواري بومدين.[1]

- آثاره:

كرس الشيخ حياته للإصلاح وتكوين الرجال، فلم يكن له متسع التأليف بسبب كثرة الأعمال حيث قال: "لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا، ولكنني أتسلى بأنني ألفت للشعب رجالاً وعملت لتحرير عقوله تمهيدًا لتحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته، وصححت له موازين إدراكه فأصبح إنسان أبيًا وحسبي هذا مقرب من رضا الرب ورضا الشعب".

رغم هذا فقد ترك مجموع أوراق كتبها تناولت موضوعات مختلفة مست أبرز المجالات، منها ما جمع شتاتها وطبع في شكل كتاب، وأكثرها ضاع إبان الثورة التربوية، أشرف نجله أحمد طالب الإبراهيمي على جمع آثار والده العلمية والفكرية والأدبية في خمسة مجلدات تحمل عنوان "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي" اشتمل الجزء الأول (1929-1940) على بعض المقالات والمحاضرات والرسائل التي نشرت في الشهاب، أما الجزء الثاني (1940-1952) احتوى على بعض المقامات والروايات والرسائل كتبها في جريدة البصائر، أما الجزء الثالث عيون البصائر، يضم مجموع مقالات متنوعة كانت تصدر في

[1] رابح لونيسي، بشير بلاح، العربي لمنور، تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1989، دار المعرفة، الجزائر، ص 103.

البصائر في سلسلتها الثانية، أشرف على طبعة محمد البشير الإبراهيمي بدار المعارف بمصر سنة 1963 وهو أهم ما كتب حسب إجماع تلاميذه واحتوى الجزء الرابع (1952-1954) على مقالات وخطب سجلها أثناء رحلة الثانية إلى الشرق، وفيما يخص الجزء الخامس (1954-1964) فقد ضمنه مجموع البرقيات وتصريحات ونداءات مثل نداء أول نوفمبر الذي صدر سنة 1994.[1]

- نماذج من قضاياه:

كان الإبراهيمي من حاملي هموم الجزائر المسلمة، العربية كتب في تقرير رفعه إلى جمعية العلماء "إن الوطن أمانة الإسلام في أعماقنا ووديعة العرب في ذهننا، فمن بعض حقه علينا أن نحفظ دينه من الضياع، وأن يحفظ لسانه من الانحراف وأن لا سبيل إلى ذلك إلا بالمدرسة التي يثنيها الأمة بمالها... وتوحيد النزاعات وتصحيح الفكرة وتقويم الألسنة وتمتين الإرادات والعزائم وتغرس الفضيلة في نفوسهم وتصحيح ما أفسده المنزل والشارع وترويضهم على حب البناء وبناءه طبقًا عن طبق"[2]

مواجهته للطرق الصوفية ومن ذلك ما كتبه في قصيدة يقول فيها:

فإن شئتموا أن تسمعوني محاضرً أحاضركم عن حضرة الغوث والقطب

هنالك يدري الجاهلون حقيقـــتي ويهتز ناديكم ويعرف ما خطـــــبي

[1] محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 52.

[2] د.نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير (مرجع سابق)، ص 397.

وإن سكوتي مسحة مستعـــــارة من المدفع الصخاب والصارم الشطب

أما المرء لا أعطي إلى القطب مقودي ولو دفعتني الحادثات إلى القطـــــب.[1]

الطيب العقبي: هو الطيب بن محمد إبراهيم بن صالح من فرقة أولاد عبد الرحمن، ولد الشيخ العقبي ببلدة سيدي عقبة في شهر شوال سنة 1307هـ الموافق لـ 1889[2]، قضى مرحلة شبابه في الحجاز حتى سنة 1916، وقد زاد وجوده في الشرق تمسكه بالقومية الإسلامية، كان ممثلاً لجمعية العلماء المسلمين في مدينة الجزائر، تأثر بقول محمد عبده "ما دخلت السياسة أمرًا إلا أفسدته" فتجنب السياسة وناضل في الإصلاح الديني وكان أبرز خطباء الجمعية.

أنشأ جريدة الإصلاح ذات الخط الإصلاحي الديني والاجتماعي، كما أنه حرر في جريدة المنتقد ثم الشهاب والبصائر، وهو الذي أسس نادي الشرقي في الجزائر سنة 1927، والعقبي لم يسلم من عقاب المستعمر، إذ اعتقلته السلطات الفرنسية في صيف 1936 متهمة إياه بالتحريض على قتل المفتي محمد كحول المعروف بابن دال، وهو من الرجال الدين

[1] نور الدين أبو لحية، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، دار الأنوار للنشر، الطبعة الثانية، 2016، ص 348.

[2] د. كمال عجالي، الفكر الإصلاحي في الجزائر، الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد، شركة مزوار للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 2005، ص 22.

الموالين لفرنسا، وظل الاتهام هذا معلق بعد إطلاق سراحه مما أثر في نفسه ومواقفه فأقدم سنة 1938 استقالته من جمعية العلماء.[1]

وقد خرج العقبي من السجن منتصرًا، واغتبطت لبراءته صحافة العلماء وأنصارهم ومدح زملاؤه شجاعته، رغم أنه كان قد استقال من مجلس الجمعية الإداري ووصفوه بأوصاف التمجيد فقالت الشهاب "إن العقبي رأس شامخ من رؤوس الجمعية وعمدة من أعظم عمدة الإصلاح والنهضة الدينية الإسلامية الجزائرية وشبهته بالسيد المسيح بين صالبيه لأن السلطة الفرنسية وضعته وسط المجرمين والمحكوم عليهم، ونوهت بسموه، وهو يقف في قفص الاتهام."[2]مرض رحمه الله في عام 1957 بداء السكري وهو مريض العظماء لشدة تفكيره، وما ركبه من الهموم الكثيرة في جهاده الطويل الصعب فلازمه هذا المرض نحو ثلاث سنين، وانتقل إلى جوار ربه في الواحدة بعد الزوال يوم 21 ماي 1960 وعمره 72 عاماً.[3]

وكانت وفاته في داره بالعاصمة بحي سانت أوجين بعد أن ظل مدة طريح الفراش ومتجاهلاً من قبل أولائك الذين ظلوا طويلاً يكيلون له المدح والتفريط.[4]

---

[1] د. نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير (مرجع سابق)، ص 400-401.

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1930-1945، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط4، 1992، ص 101، 102.

[3] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، الجزائر، د ط، 2007، ص 123.

[4] علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، دار الحكمة، الجزائر، د ط، د ت، ص 119.

الفصل الثاني

النزعة الإصلاحية في شعر

حمود رمضان

لقد ظهرت مجموعة من الأسماء اللامعة في مجال الشعر الإصلاحي، ومن هذه الأسماء الشاعر "حمود رمضان"، هذا الشاعر الفذ الذي حمل همّ أمته ووطنه وشعبه، معبرا عن همومها وآلامها وآمالها، فقد جعل من شعره سلاحا يرفعه في وجه المستعمر الفرنسي وأذياله من الجزائريين، واعتبره أداة من أدوات الإصلاح، فنجده يدافع عن الدين الإسلامي وتعاليمه، بعدما عبث به المستعمر وطمس معاليمه، وقد جاء شعره مرشدا ومسيرا للعقول، يدعو من خلاله للنهوض والجهاد، وبين أخطار الجهل على الأمة ومحاربته عن طريق العلم، فكان بذلك "حمود رمضان" لسان حال شعبه وأمته.

المبحث 01: السيرة الذاتية والأدبية لحمود رمضان:

1.نشأتهوتعليمه:

يقول: « أمطرتني سحابة القدر في بحر الوجود يوم 10 رمضان سنة 1324 مجرية في غرداية ميزاب، اسمي حمود وأبي سليمان ولقبي رمضان، ترعرعت بين أيوبنكريمن [1] »وبما أن حمود كان وحيد أبويه فإنهما كانا يحبانه حبا عظيما ولعل ذكاءه ما زاده دلالا عليهما فوفرا له كل الوسائل المادية والمعنوية ليتفرغ للدراسة، ويتكون تكوينا تعليميا صحيحا.[2]

التحق حمود بإحدى المدارس الفرنسية وقد شهد له بالذكاء والنبوغ منذ الصغر وكان مثالا للنشاط في فصله والاعتناء التام بدروسه، فطوي باجتهاده ومواهبه في سنتين اثنين ما يطويه غيره من التلاميذ في أربع سنوات وهو ما جعل معلميه يخصونه بالمحبة والعطف، ويضربون به المثل لتحفيز تلاميذهم، لكنه يصطدم منذ مراحل التعليم الأولى بمأساة التعليم في الجزائر المستعمرة وهي مأساة لا تنفصل في حقيقتها عن مأساة الجزائر نفسها حيث يغدو التلميذ مغرقا في أغلب الأحيان بين تعليميين أحدهما فرنسي عصري المناهج لكنه يهدم المقومات الشخصية هدما والآخر عربي حر، هذا التعليم الذي تعرف به الكتاتيب

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2007، ص 283.

[2] محمد ناصر، ، رمضان حمود حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985، ص 14.

والمساجد وبعض المدارس لكنه عقيم الأساليب ضعيف المناهج.[1] سافر إلى تونس[2] وترتم في حياة حمود فاصلا في حياتي واستقبل فيه شابا في السادسة عشر من عمره فراحت تبنيه أدبيا وفكريا واجتماعيا وسياسيا، فكونته المطالعة والأندية الأدبية وأبرزت مواهبه الشعرية، وزرعوا فيه حب الاستقامة خلقا ودينا وبنوا في نفسه حب التضحية في سبيل الوطن وتقلب هناك في عدة مدارس "مدرسة السلام" فالمدرسة القرآنية الأصلية والمدرسة الخلدونية ثم الجامع الأعظم[3]يقول حمود رمضان« وقرأت في العربية خاصة كتبا في النحو والمنطق والأدب وتاريخ النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وشيئا من تاريخ الدولتين الأموية والعباسية من كتاب التاريخ الإسلامي، وقرأت الإنشاء على الأستاذ الشيخ سيدي محمد مناشو..... وأما العلوم الدينية من توحيد وفقه وغيرهما فعمدتي وأستاذي الشيخ إبراهيم أطفيش والشيخ محمد الشميثي » [4] ركن التقاليد الجزائرية التي كانت تحتم على الشاب الجزائري الزواج مبكرا حرمته من أن يستزيد علما فرجع على الجزائر وهو أشد ما يكون تلهفا على استكمال دروسه وفي نفسه تحسر وتفجع، لم يقتصر على ما تمده به المدرسة من زاد، فقد كان يعمر أوقات فراغه في الكناية والخطابة والشعر،[5] يقول رمضان حمود أما الشعر فأستاذي فيه ضميري ومدرستي الكون وعجائبه إذ لم أقرأ عروضا ولا قافيا على المعلم إلا ما

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته واثاره، ص 16

[2] منتخبات الأدب العربي الجزائري لصالح الحديث بوشامة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 04.

[3] رمضان حمود، حياته وأثاره، محمد ناصر، ص 17.

[4] محمد الهادي الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مرجع سابق، ص 283.

[5] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وأثاره، ص 17-18.

اقتطفته بنفسي، بدأت أول مرة بوضع البيت أو البيتين تكلفا إلا أن صار الشعر لي شجية وأول قصيدة لي في مطلعها.

ألا أن هذا الدهر مجزرة الدهر مجزرة الحر تهادى بنا يعلو ويخفق في الغدر[1] وكنت إذا وضعت قصيدة اعرضها على نفسي فإخواني فأساتذتي.[2]

وراح يشارك في إصلاح المجتمع الجزائري باندفاع وحماسة ولكن السل الخطير الذي بدأ ينهش رئتيه وهو ما زال طالبا بتونس لم تسلمه مخالبه غلا بعد أن مزقته، وأعي الأطباء داؤه فما كان ينتصح لنصحهم، حين أرشدوه إلى الابتعاد عن كل تعب فكري أو جسماني[3] ولكن هذا المرض أودى بحياته وهو لا يزال فتى توفي في غرداية 15 ديسمبر 1929 وعمره لا يزيد عن الثلاثة والعشرين سنة رحمه الله[4].

قالت مجلة (الشهاب) الجزء الثاني عشر/ يناير 1930م:

نعت إلينا رصيقتنا (الإصلاح) نبأ وفاة الشاعر النابغة والأديب الفني والمصلح الوطني فوقع علينا ذلك النبأ الوقع المؤلم حتى كأنما بتر عضو من جسدنا وأظلم أمامنا

[1] صالح الخرفي، حمود رمضان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 35.

[2] لمحمد الهادي الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص 284.

[3] محمد ناصر، محمد حمود حياته وأثاره، ص 18.

[4] صالح بوشامة، منتخبات الأدب العربي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، ص 44.

قسم عظيم من الجزائر، كنا نعلق إنارته على جده وعمله وإخلاصه، وأعظم المصائب ما أثر في مستقبل الأوطان وأفضح الرزايا ما أضعف قوة الأمم.[1]

2.حياته الأدبية:

على الرغم من موت رمضان حمود المبكرة إلا أن قد خلف وراءه زادا أدبيا لا يستهان به، من ذلك.

- **قصة الفتى**: "وهي تجربة رائدة والتي صدرت لأول مرة بتونس في سنة 1929، وهي تعد من أول التجارب القصصية في الأدب الجزائري الحديث على الرغم من ضعفها الفني وطابعها الإصلاحي الوضعي"[2]

وحسب العديد من الدارسين والنقاد هذه القصة ترجمة شخصية للشاعر طفولته ودراسته، تنقله بين غرداية مسقط رأسه ومتجر والده في غليزان، ثم التحاقه بتونس لاستكمال الدراسة في المدارس والمعاهد التونسية، ثم عودته على وطنه وحرمانه من مواصلة الرحلة العلمية نتيجة مرضه وزواجه.

والأحداث في القصة كلها سيرة حياة نابضة بآراء الكاتب ودعوته الإصلاحية في مختلف المجالات، ويصرح حمود بأن القصة عامة ولا يقصد بها شخصا معينا وما تلك

---

[1] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 71.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وأثاره، من مقدمة الكتاب.

الأسماء المذكورة إلا مجرد تمثيل، ويقول بأن القصة تأخذ بعبرتها وحوادثها ولا شيء غير ذلك.[1]

ولحمود رمضان مجموعة من المقالات وهي:

- حقيقة الشعر وفوائده.
- الترجمة وتأثيرها في الأدب.
- دعاة التجديد.
- الإسلام في القرن العشرين.
- العادات الفاسدة.
- الله أكبر.
- الغناء الفاسق وتأثيره على الأخلاق.

ولحمود رمضان ما يقارب الثلاثين قصيدة وهي (دمعة على الأمة- في السجن- شعبي الكئيب- الرجل بنفسه- نحو الأمام- إليك أيها الرجل العظيم- أيها الناشئ- فحياة العز بالعلم الثمين- موت الغريب آية في البؤس- نغمة الشباب- في سبيل الحق- جمال الكون وبدائعه- الله اكبر نجم العرب قد سطعا- الحرية-علام علوم الدّهر- يسمى الفتى وسرور العيش يخدعه- الدهر كفيل بتنبيه المغرورين- أطلبوا العز وعيشوا كرماء- يا قلبي- وفي الضمير- أهلا وسهلا بالنبي صلى الله عليه وسلم- الفتى- أغنية الأم لولديها- أغنية

[1] ينظر، محمد ناصر رمضان حمود حياته واثاره، ص 311.

الأم لابنها المسافر- أغنية الأم لابنها العائد- الصراع النفسي- المنيبة الكبرى- همتي- شعري وشعوري- نعم الجدود ولكن بئس ما تركوا-إلى شبابنا المتضورين- شلت يد الجاني- الجديد والقديم- أقسام الناس- وطني بالنفس تفدي- هل نهضة يالقومي)

وللشاعر أيضا مجموعة من الخواطر(إسلاميات – الدين- أخلاقيات- الأخلاق- التربية والإرشاد- يجب أن- كلنا يعلم...ولكن أين- العظمة- الإرادة والهزيمة والهمة- وطنيات- أنت وطني ما دمت- الوطن والوطنية- الجزائر الفتاة- الشرق والشرقيون- اجتماعيات- التاريخ- الشباب- الحياة- التجديد- السجن – المرأة- السعادة- نظرات مختلفة في شؤون الحياة- نفحات وشعور- أدبيات- اللغة والأدب- الشعر والشاعر- الفلسفة.)

وكما يقول "محمد ناصر"« أن الملفت للنظر حقا في شعر حمود هو مضامينه الفكرية وأدواته الفنية »[1] ، فمن خلال هذه الأعمال نجد رمضان حمود يبعث من خلالها برسالة سامية وعظيمة، وغايته في ذلك الإصلاح والنهوض بمجتمعه وأمته.

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 25.

المبحث 02: مجالات الإصلاح في شعر " حمود رمضان"

لقد عرفت الجزائر تدهورا لوضعها أثناء فترة الاحتلال الفرنسي ومسّ هذا التدهور جميع الأصعدة (دينيا- سياسيا- اجتماعيا- ثقافيا...)كل ذلك كان بسبب الممارسات التعسفية التي كان يقوم بها المحتل، وهذا ما أدى بمجموعة من الرجال والعلماء إلى الوقوف في وجه هذا الوحش الدخيل- المستعمر، محاولين بذلك ردعه وإفشال خططه، وتشمل موقفهم هذا في ما يعرف بالحركة الإصلاحية والتي كان ميلادها سنة 1925.[1] وقد بدأت هذه الحركة بالتوسع أكثر فأكثر إبان فترة الاحتلال وقد شملت مختلف مناحي الحياة بما فيها الأدب، " فكان الشعر من أهم أسلحة الفكر الإصلاحي، ووسيلة لليقظة الدينية"[2] وقد ظهرت بذلك أسماء شعراء اتخذوا من التوجه الإصلاحي طريقا لهم من أمثال "محمد عبد القادر السانحي"، "محمد الهادي السنوسي الزاهري" و"عبد الحميد ابن باديس" و "حمود رمضان"، هذا الأخير يعد من أهم وأبرز الشعراء الذين دافعوا عن مقومات الشعب الجزائري وعن مبادئ الدين الإسلامي، "....وجانبه الإصلاحي الوطني الذي كان مفتاح أفكاره، ومحور رسالته وجوهر كتاباته على اختلاف أنواعها وقوالبها الفنية، شعرا، مقالة وخاطرة وسيرة "[3]، ونحن في هذه الدراسة سنحاول رصد أهم المجالات التي ركز عليها "حمود رمضان" في توجهه الإصلاحي من خلال شعره.

---

[1] محمد ناصر بوحجام، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، 1925-1976، ج1، مرجع سابق، ص 17.

[2] حميدة بنت حفيظ قادوم، دراسات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص 17.

[3] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وأثاره، مرجع سابق، ص 10.

1.الإصلاح في المجال الديني:

يعتبر الجانب الديني من أهم و أبرز الجوانب التي ركز عليها شعراؤنا، إيمانا منهم أنه إذا صلح الدين واستقامت عقيدة الشعب صلح المجتمع كله وهو الذي يأتي في المقدمة لأنه السبيل في إصلاح المجتمع ككل، وكما له إسهام كبير في تحقيق بقية الإصلاحات الأخرى، وقد أولى " حمود رمضان " عناية كبيرة للجانب الديني في شعره ساعيا من خلاله إلى تصحيح معتقدات الناس وداعيا على الرجوع إلى الدين الحنيف وتعاليمه السمحة ، وقد ركز حمود في هذا الجانب على أمرين رئيسيين هما: الدعوة إلى التمسك بالدين والدفاع عنه، الرد ومواجهة أصحاب البيع والخرافات.

أ.الدعوة إلى التمسك بالدين والدفاع عنه:

إن أهم هدف للاستعمار الفرنسي على الجزائر هو القضاء على الدين الإسلامي وتحريفه وتشويهه، واضعا بذلك مختلف السياسات لتحقيق أهدافه، وما ينتج عن هذا الأخير – الاستعمار الفرنسي- هو ابتعاد الجزائريين عن دينهم، وهذا ما يضع بفئة الشعراء إلى نهج سبل الإصلاح في كتاباتهم، و"حمود رمضان" هو واحد من هؤلاء فقد سعى جاهدا إلى الدفاع عن مبادئ الدين الإسلامي والدعوة إلى الالتفاف حوله والدفاع عنه.

نجد "حمود رمضان" في كثير من قصائده يدعو إلى التمسك بالدين الحنيف يقول في قصيدته "إلى شبابنا المتنورين":

إنني إلى دين النبي محمـــد أدعو له وكتابه المســـبوك

وتمسكي بالدين لا تزري به فالدين من شر العباد يقيك[1]

فنجد الشاعر هنا يدعو على دين النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام، إضافة إلى القرآن الكريم باعتبار أن الدين هو المنقذ من الوقوع الشرك والآثام، فمن اتبع دين محمد لن يظل أبدا.

ويقول أيضًا في نفس القصيدة:

وتعلّمي علم الأوائـــــل إنـــه علم إلى نيـــل المنى يهديك

فشريعة الإسلام رحب صدرها تسع العلوم بنهجها المسلوك.[2]

نجد الشاعر يحث الشعب الجزائري على الإقبال على علوم الأوائل والمتمثلة أساسًا في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، باعتبار أن هذين المصدرين هما اللبنة الأساسية للارتقاء ومعرفة طريق الحق ونيل المراتب السامية بين الأمم، ونجيده يصف الشريعة الإسلامية بـ 'رحابة الصدر" وهذا يعني أنها تدعوا وتهتم بمختلف أنواع العلوم ومتفتحة عليها، فلو سرنا على منهاجها لبلغنا أعلى المراتب، ويصف الشريعة في موقع آخر بقوله:

آياتها كالنور في لمعانها تلكم أضاءت من دجى وحلوك.[3]

[1] محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وأثاره، مرجع سابق، ص 199.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وهنا نجده قد شبه الشريعة وأحكامها بالنور الذي يضيء، فالشريعة الإسلامية إذاً قد أخرجت الأمة الإسلامية من الظلمات والضلال إلى نور الهداية ورحابها.

ويقول في قصيدته "وحياة العز بالعلم الثمين":

فاحكموا الدنيا بقانون السماء تجدوا الأفلاك جندًا نصراء.[1]

هنا الشاعر يدعوا إلى الالتزام بتعاليم الإسلام والسير على منهاجه، واعتبر الإسلام القانون السماوي الذي لا يضاها بشيء آخر ويعتبره الأساس في نشر العدل وتحقيق المساواة، ويدعوا إلى أن يجعلوا منه دستورًا لحياتهم.

ويعتبر "حمود رمضان" أن من تخلى عن دينه فقد أودى بحياته إلى التهلكة، وكذلك الدول والأمم، يقول في قصيدته "نغمة الشباب":

أرى الشرق يسعى إلى حتفه إذ نبذ الدين ثم كفر.[2]

فنجده هنا يتحدث عن "الشرق" وقد عبر عنه بقوله "يسعى إلى حتفه" والسبب في ذلك راجع إلى أنه قد ابتعد عن دينه إلى أن وصل إلى درجة الكفر، وبذلك 'فحمود رمضان" يرى أن الدين هو عماد وأساس كل أمة، فإن هدم الدين هدمت معه الأمة بكاملها وأصبحت عرضة لكل المطامع وعرضة للفساد والخراب، وبذلك الابتعاد عن الدين يساوي الموت والزوال والهلاك.

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره. ص 172.

[2] المرجع السابق، ص 176.

وبذلك فقد ركز "حمود رمضان" على أهمية الدين في الحياة، وهذا ما دفعه هو وأمثاله من الشعراء الإصلاحيين إلى التوجه نحو الإسلام وتعاليمه، وحث على التمسك به "فكانت الحركة الإصلاحية تربط قضايا الفكر والثقافة والأدب بالدين الإسلامي دومًا".[1]

ويقول في قصيدته "في سبيل الحق":

وانصروا الدين وكونوا جنده عند النضـــال

وتعالوا انشروا الحــق في جهارًا في الأنام.[2]

تتضمن هذه الأبيات توجيهًا مباشرًا لأبناء الشعب في خصم التداخلات والتطورات التي تشهدها الجزائر بسبب الاستعمار، فجاءت في صيغة الأمر "انصروا" والنداء "تعالوا" كل ذلك من أجل بث الوعي الديني والدفاع عن الإسلام ومبادئه وداعيًا إلى نصرته وتحريره من كيد المستعمر الغاشم الذي يعمل على تدميره وتشويهه فواجب علينا نحن أبناء هذا الدين أن نجاهدوا ونناضل من أجله.

ونفس الفكرة يكررها في قصيدته "اطلبوا العز وعيشوا كرماء" يقول:

واجعلوا الدين شعارًا لكم وارفعوا رايته نحو السمـــاء

دينكم يدعوا ويبكي أسفًا فانقذوه من عنا ذاك البلاء.[3]

---

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 62.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 177.

[3] المرجع السابق، ص 185.

يجدد الشاعر هنا دعووتع لأجل رفع راية الإسلام ودعوة الشعب للجهاد لأجل نصرته وقد شبه الدين هنا بالطفل الصغير الذي يبكي لحاله ويدعوا أهله لإنقاذه وتحريره من يد المستعمر الغاشم وما لحقه به من تحريف وتشويه.

أما في قصيدته "علام نلوم الدهر" فيرجع ما يعيشه الشعب من ذل وهوان، ما هو إلا سبب أفعالنا وتصرفاتنا، فقد كان الشعب منغمسًا في مختلف أنواع الموبقات والانحرافات وأتباع هوى النفس، فكيف يا ترى يتحسن حالنا ونحن مقبلون على مثل هذه الأفعال المنحرفة والدخيلة عن ديننا الحنيف ونجده ناقمًا أيضًا على سكوت وصمت الشعب أمام ما يحاك ضد دينه وأمام عينيه، ويقول:

ما يحاك ضد دينه وأمام عينيه، يقول:

علام نلوم الدهر والله عـــادل ... وننسب للأيـام ما هو باطـــل

ونملأ وجه الأرض رطبًا ويابسًا ... بكاء وهل تجدي الدموع الهواطل

ونجزع المكروه من كل حـادث ... وما ذاك إلا ما جنته الأنامـــل

فلن يظلم الله العـباد بحـــكم ... ولكن كفـــر الـــمرء قاتـــل

ونزعم أنا مسلمون، ودينـــنا ... به الأهـواء والكـــل ذاهـــل.[1]

إلى أن يقول:

[1] صالح الخرفي، "حمود رمضان"، ص 89.

إنا فرادى في المكارم والحـجى ولكن سداً بينـنا والفضائـــــل

فكيف يقينا الله من سوء بطشه وما هو عما يفعل العبد غـافل

قبيحقبيح أن نسير مع الهـوى ضلال وقد قامت علينا الدلائل

قبيح بني قومي السكوت وديننا على عزة أنكرتـــه الأفاعـــل.[1]

ليقول في نهاية القصيدة:

فإن تنصروني إنني خير ناصر وإن تخذلوني فالشقا والبلابل

أشتت شمل العابثين بحكـــمتي وما هو شعر ساحر ولا نثرء.[2]

ومعناه أن الله ينصر من نصر دينه وتمسك به وبتعاليمه وجاهد وناضل من أجله، أما ابتعد عن الدين وألقاه خلف ظهره، فلن يلقى إلى الشقاء والبؤس والبلاء.

وفي قصيدة أخرى بعنوان "أهلاً وسهلاً بالنبي محمد" نجده يستذكر بعض صفات خير الخلق والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أشاد بها داعيً في الوقت نفسه إلى الاقتداء به والسير على نهجه وسنته، فلا ظل ولا خاب من تبع سنته والعكس صحيح، ويقول:

[1] صالح الخرفي .حمود رمضان، ص 90.

[2] المرجع نفسه، ص 91.

يا قوم أحمد! أنتم فخر للورى وهداته، فخذوا الورى بزمامـــــه

سيروا على سنن النبي محمد واجنوا الفضائل من سما أحكامه

لا تهملوا تاريخه، فسطـــروه نور الفؤاد، وبسلـم لسقامـــــــه

إن الرسول مناركم لا ينطـفي في صـــــبره نور في إقدامـــه.[1]

ويعد القرآن الكريم من أهم ما ركز عليه "حمود رمضان" في شعره، باعتبار أن الشريعة الإسلامية أساسها القرآن وباعتباره الدستور السماوي المقدس، وهو المنقذ من الضلال والظلمة، فالشاعر يدعوا في كثير من قصائده إلى الإقبال على القرآن الكريم والاهتمام به وتدبره وتعظيمه، وهي صفة بارزة عند جل شعراء الحركة الإصلاحية، يقول الشاعر من نفس القصيدة الفائتة:

لا تنبذوا القرآن، فهو أمامكم فالخير كل الخير في إعظامه

هو روضة للروح فيه حياته من نوره تمحى دجى أوهامه.[2]

ويقول:

وارجعوا للكتاب فهو ضياء وسناء ومرشد الحائرين.[3]

[1] محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وآثاره، ص 189.

[2] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[3] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 72.

ب/ محاربة أصحاب البدع والخرافات:

كما أسلفنا الذكر أن الاستعمار الفرنسي عمل على محاربة الدين الإسلامي وطمسه، لكن هناك طرف آخر في هذه المعادلة كان له دورٌ بارز في تشويه العقيدة الإسلامية ألا وهو أصحاب الطرقية المنحرفة "إن البلاء المنصب على الجزائر إنما هو آتٍ من جهتين متعاونتين عليه، أو بعبارة أوضح من استعماريين مشتركين يمتصان دمه ويفسدان عليه دينه ودنياه: استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي [...]، واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه والمجترون باسم الدين والمتعاونون مع الاستعمار عن رضا وطواعية".[1]

وقد تفطن رجال الحركة الإصلاحية إلى هذا الطرف الخبيث المتعاون مع بلد المحتل على طمس الدين وتشويهه، وبذلك انتشرت البدع والخرافات والأباطيل التي استحدثت في المجتمع الجزائري باسم الدين، فعمل الإصلاحيون على مواجهتها ومحاربتها. وها هو "حمود رمضان" واحد من شعراء الحركة الإصلاحية والذي سعى جاهدًا من خلال كتاباته وأشعاره على وجه الخصوص أن يتصدى لهذا التيار الخبيث، وينبه الشعب الجزائري إلى خطورته والعمل على كشف أكاذيبه وأباطيله التي لا تنتمي إلى عقيدتنا الإسلامية.

[1] محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة (مرجع سابق)، ص 220.

نجد "حمود رمضان" في قصيدته "في سبيل الحق" يبين موقفه من أصحاب الطريقة المنحرفة والتي تسعى إلى القضاء على الإسلام، نجده ناقمًا عليهم، واقفًا في وجه أطماعهم الخبيثة، ويصرح بكرهه واحتقاره لهم لأنهم باعوا الدين بثمن بخس، يقول:

ووقفوا في البرايـــــا ضد أنصار الضلال

واتخاذي الحق دينـا بين أقوام طغـــــام

واحتقاري كل نـــذل ساقط الهمة خـــال

باع الدين الله جهرًا راكضًا تحت الظلام.[1]

ونجده يخاطب السباب في قصيدته "إلى شبابنا المتنورين" بقوله:

لا تسمعي صوت الذي يحمدوه ينهاك أو يسعى لأن يفنيك.[2]

نجد الشاعر هنا ينصح شباب الجزائر لعدم الخضوع أو الإنصات لأصحاب النزعة الصوفية، المتحجرة والمتزمتة، فهذا إهلال لهم:

أما في قصيدته "علام نلوم الدهر" نجده يصور الحالة الدينية المتردية في الجزائر مرجعًا السبب في ذلك إلى أصحاب الطرقية المنحرفة والذين عملوا على زراعة فكرة مفادها أن الاستعمار هو قضاء وقدر من عند الله عز وجل رافضًا بذلك "التواكل" ويعده ضعفًا في

---

[1] محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وآثاره، ص 177.

[2] نفس المرجع، ص 199.

الإنسان، كل ذلك من أجل تثبيط الهمم ولأجل عدم حمل السلاح أو المطالبة بنيل الحرية كل ذلك باسم الدين، ونجده بحث في الوقت نفسه على الأخذ بالأسباب ويقول:

علام نلوم الدهر والله عـــادل ... وننسب الإسلام ما هو بـــــاطل

ونملأ وجه الأرض رطبًا ويابسًا ... بكاء، وهل تجدي الدموع الهواطل

ونجزع المكروه، من كل حـادث ... وما ذاك إلا ما جنته الأنامـــــل

فلن يظلم الله العباد بحكمـــــه ... ولكن كفر المرء للمرء قاتـــــل.[1]

ونجد "حمود رمضان" في كثير من قصائده ناقمًا على المتعصبين والمتشددين للقديم، الرافضين لكل ما هو جديد بحجة أن كل بدعة ضلالة، فيعملون على محاربة الفكر الجديد، يقول في قصيدته "الجديد والقديم":

فمن شاء أن يحيا على الناس مشرفًا ... ومنعزلاً عنهم، يحب التصـــوف

يقدم رجلاً ثم يدبـــــــر عشـــــرة ... وإن سمع الأقدام زاد توقفـــــــاً

ويمضي على قتل الجديد من أصله ... ويرجع للعصر القديم وقد عفـــا

ويجمـــد في أفكـــــاره وآرائـــه ... ولو كان ما يبغي اعتقادًا مجوفًا

يروح ويغـــدو بين يأس وخيبـــــة ... يشير له داء الركود فيسعفـــــا

[1] صلاح الخرفي، حمود رمضان، ص 89.

يرى كل شيء حادث هو بدعة وينبذ أشياء الحياة تعففا.[1]

فهنا الشاعر يصف لنا أصحاب الفكر المتحجر البعيدين كل البعد عن الحاضر وما يقتضيه، ونجده ناقمًا عليهم وعلى طريقة تفكيرهم، فيدعوا شباب الجزائر لعدم الإصغاء لهم ولأفكارهم المحبِطة المدمِرة، يقول في قصيدته "إلى شبابنا المتنورين":

لا تسمعي صوت الذي بجموده ينهاك أو يسعى لأن يفنيك.[2]

فهؤلاء القوم يدعون العلم والمعرفة والتعفف، إلا أنهم يقولون ما لا يعرفون ولا يفقهون وهدفهم واضح وهو إبعاد الشعب الجزائري عن دينهم وتعاليمه خدمة الاحتلال الفرنسي، يقول من نفس القصيدة:

يسير على غيٍّ ويتبع نفسه ولم يدر أن المرء كان مكلفًا

ولا همة تهديه للحق والهدى وليس له فكر ليدري ويعرفا

وينفث سمًا في العقول بزهده ويجعل دين الله شرًا ليتقي.[3]

هنا الشاعر ينبه لخطورة ذلك التيار إلى درجة أنه شبههم بالأفعى التي تنفث السم في فريستها، فكذلك هم يبثون الأفكار الخبيثة والمضللة في عقول الشعب.

---

[1] محمد ناصر، رمضان حمود، ص 201.

[2] نفس المرجع، ص 199.

[3] المرجع السابق، ص 202.

وتجدر الإشارة إلى أن رفض "حمود رمضان" للفكر القديم ليس على حساب دينه ومقوماته وتاريخ بلاده، فهو يدعوا في كثير من القصائد إلى السير على سبل الأوائل والأجداد، ونجدعه يجاطب المتنكرين لتاريخ بلادهم بنقمة وذم يقول:

فيا ويح قوم لم يراعوا خيارهم ويا ويلهم ويلاً كثيرًا مضعفًا

نعيش كما عاش الأوائل قبلنا وسنة هذا الكون لن تتخّلفى.[1]

وهذه النظرة يشترك فيها رجال وشعراء الحركة الإصلاحية فهم ينصحون ويحثون على العودة للتراث (القرآن، السنة، التاريخ) "لا من أجل الانغلاق على الذات وتقديس الأجداد، وتجميد الماضي و... بل لمسائلة الذات من خلال مسائلة الماضي والوقوف على الخصائص المميزة والهوية الخاصة".[2]

والدليل على ذلك نجده في قصيدة "علام نلوم الدهر" يذم أولئك الذين يقلدون الغرب في كل شيء في لباسهم وثقافتهم وتحررهم، ووصف كل هذه الأشياء بالتفاهة، والأشياء السافلة: يقول:

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص202.

[2] محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2002، ص 07.

نسيروا وراء الناعقين تهالكًـــا لنحظى ببعض الشيء أو الشيء سافل

نرى قولهم دقًا وصدقة وحجة وإن جاء منهم تافه فهـــــو كامـــــل.[1]

فكلما زاد أصحاب البدع والخرافات في نشر ضلالهم وانحرافاتهم وبدعهم زاد الله من سخطه عليهم، وتغيير محاسنهم إلى مساوئ، يقول في قصيدته "الخيبة الكبرى":

قد غيروا في كثير من محاسنهم فغير الله عنهم كلما ابتعدوا.[2]

فعوضًا أن يكون أصحاب الصوفية دعاةً للدين وتعاليمه، أصبحوا دعاةً للانحراف والشرك، فقد غيروا وظيفتهم المنوطة إليهم، فغير بذلك الله حالهم.

ويبين "حمود" أيضًا أن دين الله عز وجل ليس محصورًا في صوم أو زكاة أو صلاة، وإنما يشمل مختلف مناحي الحياة، ذامًا بذلك الذين يقولون ويتكلمون ولا يعملون فهؤلاء بئس القوم، فإن هم تحدثوا أعجبك حديثهم، ولكن حين يأتي وقت الفعل ولّوا مدبرين، يقول في قصيدته "الخيبة الكبرى":

ويفهمون بأن الدين منحصـر في صومهم أو زكاة أو إذا ركـــعوا

لا بارك الله في قول بلا عمل فإنهم بحديـــــــــث الليل قد ولعوا

تراهم في الرخاء أسدًا غطارفة إن حل حطاب على أعقابهم رجعوا.[3]

---

[1] محمد ناصر، حمود رمضان، ص 182.

[2] نفس المرجع، ص 193.

[3] نفس المرجع، نفس الصفحة.

ونجد "رمضان حمود" حزينًا باكيًا على حال الجزائريين مع دينهم فهم منغمسون في أنواع الرذائل والموبقات والمحرمات، يقول في قصيدته "دمعة على الأمة":

بكيت عليهم إذ نسوا كل واجب ومالوا إلى حب الهوى والرذائل.[1]

وقد وضع "حمود رمضان" منهجًا للإصلاح الديني في الجزائر في قصيدة نظمها في مسابقة الشهاب، وكان السؤال، بماذا تحيا البلاد، فقال في السؤال:

وبماذا يكون إصلاح قوم نبذوا الدين للوراء وحادوا

فيجيب:

ثم صونوا بما لديكم دينًـــــا كان دين إلا له دين متيـــنًا

وارجعوا للكتاب فهو ضـــياء وسناء ومرشد الحائريـــــــنا

وإلى سنى الرسول المـــفدى من أتى رحمة إلى العالميـــنا

ذلك دين الإسلام دين حنيف لو أتى غيره لأمسى دفينـــا

فهو دين الرقي دين طبيعـي لم يخالف شرائع الكون فيـــنا

لا تظنوا بأننا سوف نرقـــى إن نبذنا الإسلام جهلا وحمقاً

ما بلغنا الحضيض إلا بريغ وكذا الضعف بالتمرد يبقـــى

[1] محمد ناصر. رمضان حمود حياته وآثاره، ص 165.

لا يعيش الإنسان إلا بديـــــن أو نظام وماعدا فهو يشقـى

هل نرى الدين ما يقولون زدرًا ليس دين الإله رقصا وفسـقا

سودوا وجهه بخبث وقبـــــح فهم في الضلال هلكى فرقى

أنشلوا الدين من يد الهادمين وأصلحوه لعلكم تهتدونـــــا

لقنود إلى الشبيبة جـــــهرا واعرضوا عن مقالة الجاهلينا

لا تبالوا إن حاربوكم بجهـل اتركوهم في عينهم يعمهونـا

ليس يرجى الصلاح منهم وفيهم من يرى الدين سلعة البائعين

كل خير في الكف عنهم وفي السعـ ي وراد الصلاح عطفًا ولينا.[1]

من خلال هذه المقطوعة الشعرية نستخلص بعض النقاط أهمها:

- الدعوة إلى دين الله عز وجل ونصرته.
- دعوة إلى العودة للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- تخليص الدين من يد الطرفين المنحرفين.
- الحرص على تلقين الدين للشباب.

ومن خلال ما سبق ذكرع نقول أن "حمود رمضان" قد أعطى للجانب الديني أهمية واسعة في إصلاح الأمة الجزائرية "وهذه الغيرة الشديدة على الدين هي فيما نزعم مفتاح

[1] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 72-73.

شخصية حمود، لأنه كان يدرك إدراكاً واعياً ما لهذا الدين من فعالية في توجيه سلوك الناس وتكوين شخصياتهم، فهو الذي يقول «لا نقدر أن نسير بدون دين، لأنه هو المحرك الوحيد للقيام بجميع الواجبات... إن الدين قوة معنوية تكهرب المرء وتبعث فيه روح الأمل والإقدام على الدواعي وعدم الخوف من أي قوة كانت»".[1] وكان شعاره في ذلك:

في سبيـــــل الله والحـ ـق ندائي وفعالـــــــي.

في سبيل الديـن والشعـ ـب هيامـــي وغرامـي

في سبيل الشرف والإسـ ـلام حبي وانشغالي.[2]

2/ الإصلاح في المجال السياسي:

لقد كانت الجزائر في فترة العشرينيات كما هو معروف تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، هذا الأخير الذي مارس على الشعب الجزائري أبشع وأشنع الوسائل لإخضاعه والسيطرة عليه وسلبه مختلف حقوقه، معتمدًا في ذلك على الطابع العسكري (قتل، جرح)، إلى جانب الطابع الإداري والسياسي متمثلاً في القوانين التي فرضها كقانون الأهالي وسياسة الدمج والتجنيد الإجباري وما إلى ذلك من قوانين وسياسات تعسفية في حق الشعب الجزائري، هذا ما أدى إلى انتشار الظلم وضياع الحقوق والتعسف والسيطرة بدون وجه حق، هذا ما دفع برجال الحركة الإصلاحية إلى التصدي لهذا المستعمر الغاشم، داعيًا الشعب

[1] محمد ناصر، رمضان حمود –حياته وآثاره، ص 21.

[2] المرجع نفسه، ص 176.

الجزائري لليقظة والنهوض والنضال لاسترداد حقوقهم والظفر بالحرية، وها هو "حمود رمضان"يدعوا إلى هذا من خلال أشعاره، وشعاره في ذلك:

في سبيل الدين والشعـ ـب هيامي وغرامــي

في سبيل العز مـــلا قيت والمجد المضام.[1]

هنا يبين الشاعر موقفه من الاستعمار وهدفه من رسالته كل ذلك في سبيل الشعب والوطن، فهو يحاول من خلال أشعاره شحذ الهمم وإيقاظ الضمير كل ذلك باسم الوطنية والانتماء، يقول حمود في هذا الشأن: "من أحرقت الوطنية لبه بجمرة الحماس والغيرة، بقي أبد الدهر مفتوح العينين في الوجدان، نقي الضمير، حرّ النفس مطمئن البال".[2]

وقد ركز "حمود رمضان" على أمرين في هذا المجال وهما:

- دعوة إلى النضال وشحن الهمم.
- نبذ النزاعات والدعوة إلى الاتحاد.

أ.دعوة إلى النضال وشحذ الهمم:

لقد سعى "حمود رمضان" جاهدًا من خلال قصائده إلى إيقاظ الضمير وشحن الهمم من أجل استرداد الحقوق ونيل الحرية، كل هذا كان في ظروف مزرية كان يتخبط فيها الشعب الجزائري في مستنقع الذل والهوان والكسل.

---

[1] محمد ناصر، رمضان حمود –حياته وآثاره، ص 176-177..

[2] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 125.

نجد "حمود" في قصيدته "نعم الجدود ولكن بئس ما تركوا" يبين رسالته وموقفه للشعب الجزائري، وهو عدم الخضوع وعدم السكوت لما يحدث في الجزائر، ويبين أيضًا دور كتاباته وشعره في إشعال روح الحماسة والنضال وإيقاظ الضمير في قلوب الجزائريين يقول:

إن نفسي إلى المكارم تصبوا ولها في سما البيان هيام

أنفخ الروح في القلوب بشعري ليت شعري وهل تقوم النيام

أضرم النار إن أردت بشعري فلشعري في كل نفس ضرام

أرسل الشعر للنضال إذ مـــا هضم الحق واستحل ذمـام

ليت هل ينهض الكلام بقـوم لم يقدر هداهم الإمـــــام.[1]

فالشاعر هنا يتمنى أن يلقى آذانًا صاغية تسمع وتلبي دعوته وتمنياته ويحرك شعره وكلماته نفوس الجزائريين فيلبوا النداء.

ونجده في بقية القصيدة يستذكر أفعال وبطولات الأوائل (الأجداد) والذين كانوا يرفضون الذل والهوان ولو كان ذلك على حساب أرواحهم، مذكرًا بذلك الجيل الجديد قصد الاقتداء بهم والسير على منهاجهم، يقول:

[1] محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وآثاره، ص 197.

في سنين قليلة قد ملكتـــــم ربع الأرض صينها والشام

وبسطتم لواءكم فوق هنـــــد ووراالبرينات طاب المـقام

بل مستمر بسيفكم سوربواتي ومناكم هداية وســـــــلام.[1]

فنجد الشاعر هنا قد لجأ إلى الإشادة بقوة المسلمين والتذكير بالانتصارات التي حققها بفضل شجاعته وعزمه، كل ذلك في سبيل إيقاظ الحس الثوري لدى الجزائريين.

ثم يعود مرة أخرى لدعوة الشعب والعرب ككل للنطق والنضال وفك قيود الخوف والسكوت، يقول في نفس القصيدة:

أيها العرب والخطوب جسام دون هذا العناد مـــوت زؤام

أيها العرب والحوادث جاءت ممطرات كأنهـــن غمـــــام

أن يكن للحياة فيكم طمــوح فمتى النطق والسكوت حرام.[2]

نجد الشاعر هنا يخاطب جميع العرب ولم يقتصر خطابه على الجزائريين فقط، واعتبر السكوت في هذه الأوضاع حرام، إثر ما تعيشه البلاد العربية من استعمار وظلم، واعتبر أن الموت أحسن وأهون من العيش في الذل والهوان.

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص197.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ويخاطبهم أيضًا بنوع من التعجب، فهو يتعجب لأمرهم كون السكوت والسبات ليس من صفات المسلمين، وليس من تعاليم الدين الإسلامي، يقول:

أيها العرب ما لكم في سبات أكذا الدين أم كذا الإسلام.[1]

ويحث في الوقت نفسه إلى النشاط واليقظة: يقول:

أيها الناس سابقوا لخصال فنشاط، فيقظة، فأمام.[2]

وينصحهم أيضًا بعدم التخلف وتحذيرهم من البقاء دومًا في مؤخرة الأمم والشعوب، وإنما التطلع دائمًا إلى الأمام ومن أجل نيل العلا وبحثهم أيضًا على استرجاع هبتهم ومجدهم الغابر، يقول في قصيدته "إلى شبابنا المنورين":

لا تنظري للخلف يومًـــا إنـــه في هوة وتقهقر يرسيـــــــك

بل للأمام إلى الأمام تقدمـــــي رغم العداة رغم من حســـدوك

واسترجعي ما فات من مجد ومن تلك المفاخر إن هم ظلمـــوك

أين الأولى بالصبر نالوا أمـــرهم عاشوا كرامًا واعتلوا كملـــوك

كنّا وكان العز يخفـــق فوقـــنا وصفا لنا زمن كوجه ضحوك.[3]

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 197.

[2] المرجع نفسه، ص 198.

[3] مرجع نفسه، ص 199-200.

أما في قصيدته "فحياة العز بالعلم الثمين" يبين للشعب الجزائري أن حياة العز والهناء والحرية لا تأتي بالكسل والهوان والتمني، وإنما بالتضحية والنضال والجهاد، ولم تنل أمة عزها وسعادتها إلا بدفع الثمن غاليًا، يقول:

لن ينال العز شعبًا كالجـماد فاقد الإحساس خال من شعور

لن ينال المجد شعب بالرقـاد يترك اللب ويغنـــى بالقشـــور

إنما المجد قرين بالجهـــــاد ووئام وثبات فـــي الظهـــور

أي شعب ساد في هاتي الدنى بجمود وخمـــول وكســـــل.[1]

والأمر الاستثنائي الذي نلمسه في هذه الأبيات هو لفظة "الجهاد" أين صرح بها الشاعر مباشرة داعيًا بها الشعب إلى التوجه نحو الجهاد والنضال من أجل نيل المجد والظافر بالنصر، هذا الأمر الذي كان ممنوعًا ذكره أو التصريح به أو الدعوة إليه، ويعتبر جريمة، لأن المحتل الفرنسي كان يمنع مثل هذه الكلمات والدعوات.

ونجده يجدد دعوته للجهاد والنضال، يقول في نفس القصيدة:

وقيام بفروض للبلاد ونضال ثن بالسعي الخطير.[2]

[1] محمد ناصر. رمضان حمود حياته وآثاره، ص 171.

[2] نفس المرجع، ص 172.

ويحث الشعب على صون مجدهم والابتعاد عن الأفكار الهدامة المثبطة للعزائم التي عمل خدام فرنسا على زرعها في عقول الجزائريين ومفادها أن الاستعمار قضاء وقدر عند الله، فينبههم لهذا الأمر ويعتبر مثل هذه الأفكار أضاليل العصر، خصوصًا وأن شعب الجزائر الأوائل معروف بشجاعته ورباطة بأشه، يقول:

ثم صونوا مجدكم بين العباد واتركوا عنكم أضاليل العصور

إنني أعهد فيكم شـــمـــة نأنف الذل ولا ترضى الهـوان

إنني أعهد فيكـــم همـــة كيف أفنتها تصاريف الزمـان.[1]

ثم يبين الشاعر أن الحرية تأخذ ولا تعطى، وأنه من أراد الحصول عليها فعليه بالجهاد والنضال وليس بالكسل والتواكل، ومن نهض وناضل من أجل وطنه، فيكون النصر حليفه يقول:

يا رجال الشعب يا أسد الثرى يا رجالاً بهم يحيا الوطن

لا تكونوا صخرة بين الـورى فحماكم ليس يفدي بالوسن

إنما الناهض يحظى بالـمراد وهو بالفخر والنصر جدير[2]

[1] محمد ناصر . رمضان حمود حياته وآثاره، ص172.

[2] المرجعنفسه172.

ونجده في قصيدة "علام نلوم الدهر" يستقبح سكوت الشعب ورضاهم بحياة الذل والهوان التي يعيشونها، يقول:

قبيح بين قومي السكوت ودينا على عزة قد أنكرته الأفاعـل

قبيح بين قومي السكوت مخافة وشعبكم يدعوا ألا من يناضل.[1]

ونجده في قصيدته "اطلبوا العز وعيشوا كرماء" يجدد دعوته للشعب الجزائري من أجل تخليص بلادهم من المستعمر الغاشم، يقول:

موطن الأمجاد سيرًا للعلا عش حرً يا مقر الفضـــلاء !

ارفع الرأس يزاحم من علا واترك الخوف لقلب الجبنـــاء

وانشد الحق وطالب ما ترى فيه خيرًا لبنيك النبـــــــلاء

جدد العزم وارفع شرفًـــــا عجزت عنه صدور الضعفاء

أطلبوا العز وعيشوا كرماء إنما الحر كطيب في الفضاء.[2]

وهنا دعوة صريحة للشعب الجزائري من أجل النهوض ببلادهم وتحريره، وما دل على ذلك استعمال أفعال الأمر (عش، ارفع، أنشد، جدد، طالب، أطلبوا، عيشوا).

[1] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص85

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 185.

ونجد "رمضان حمود" يساوي بين الشعب والموت فهما نفس الشيء، بل الموت أهون من العيش في الذل والهوان، يقول في قصيدته "اطلبوا العز وعيشوا كرماء":

لا تكونوا لقـــمة سائغـــة في فم الظلم، فذا عين الفناء

لا تظنوا الصمت ينفي ضررًا فجمود الشعب والموت سواء

منيكن حياً ويرضى سبـــة فهو والحق هباء في هبـــاء

لا حياة لا أباء لا هـــــناء لذليل عاش في جو الشقاء.[1]

أما في قصيدته "نغمة الشباب" فنجده يشبه حياة الذل والهوان تمامًا كحياة البقر ونجده ناقمًا على المتواكلين الذين يرجعون الاستعمار للقضاء والقدر، محاولاً إصلاح هذه الأفكار، فلا نصر ولا حرية إلا بالتضحية والأخذ بالأسباب، يقول:

نهوضًانهوضًا بني جلدتي إلام ونحن بطي الخبـــر؟

إلام والأسر في أرواحنـــا ونحيا هواناً حياة البقـــر؟

أنمسي ونصبح في حسـرة وننسب ذلك الشقا للقـدر؟

أنمسي ونصبح في ذلـــة ونلزم خوفًا سكون الحجـر؟

على الذل نصبر حتى الفنا وفي سبيل العز لا نصطبر.[2]

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 185-186.

[2] المرجع نفسه، ص 176.

نجد الشاعر في نعض الأحيان يرثي رجالاً سخروا حياتهم لوطنهم، وكان لهم دور هام في إصلاح أوطانهم، فنجده مثلاً يرثي "الحاج عمر بن داود بزملال"، كل ذلك من أجل الاقتداء به، وحقًا توفي لكن الشاعر واثق بأنه سيكون هناك من يخلفه ويمشي على خطاه، ويقول في قصيدته "يسعى الفتى وسرور العيش يخدعه.

لئن مضى فأسود الغاب حاضرة تحيى مآثره كي تحيى أوطان.[1]

وفي كثير من القصائد يصرح الشاعر بعدم خوفه من المترصدين له وأشكاله من الرجال المصلحين (من طرف الاستعمار وخدامه) كل ذلك في سبيل أمته ووطنه، وذلك يقينا منه أن النصر لن يأتي بسهولة وإنما يخوض الصعاب وبرد الخوف يقول في قصيدته "من وحي الضمير"

أقول جهـــــارا ولا أنثنـي ولو كان في القول من العتاب
دعوني! فما المجد إلاهنا وخوض الجلائل عند الطلاب
فلست تنال العلا صدفـة ولكنها بركـــوب الصعـــاب
دعوني أناضل على أمة توارث حقوق لها بالحجـــاب
دعوني أناضل على أمة فضائلها بين ظفر ونـــــاب
دعوني أناضل على أمة عليها توالت شرور الذئـــاب
فأمست تنوح على عزها وتبكي دموعا كوطف السحاب[2]

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 183.
[2] المرجع نفسه، ص 187.

ونجد" رمضان حمود" في كثير من قصائده يبكي على حال أمته والوضعية التي آل إليها المجتمع الجزائري من جمود وكسل وضعف في النفوس، فعملت تلك القصائد طابع الحزن والألم، يقول في قصيدته دمعة على الأمة:

بكيت عليها رحمة وصبايـــــــة وإني على ذاك البكا غير نـــادم

بكيت عليها أدمعا من نواظـــــر تساهر طول الليل ضوء الكواكب

بكيت على قومي لضعف نفوسهم على حمل أثقال العلى والفضائل[1]

أيضا في قصيدته " يا قلبي" نجده محزونا لحال نفسه الذي يتخبط في مختلف أنواع الهموم والمشاكل التي تشيب منها حتى رؤوس الأفعال الصغار، داعيا وراجيا من الله عزوجل أن يفيق الشعب الجزائري من سباتهم ويدافعوا عن وطنهم.يقول:

في بلادي ترى الهوان حيـالا فرؤوس الصغار منه تشـــب

كل فرد يشكو هموما ثقـــالا لست ادري متى الحياة تطيب

لست أدري متى نكون رجالا؟ لست أدري متى الشقاء يغيب؟

يا إلفي! منك الشفاء لشعبي! رب رحماك أنت أنت الطبيب[2]

فنجده في قصيدته "الخيبة الكبرى" ناقما على الذين يكثرون الكلام دون الفعل، فإذا كانوا رخاء وجدتهم رجالا أسودا، وإن حلت مصيبة وعمت البلوى رجعوا على أدبارهم خائفين، يقول:

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 165.

[2] المرجعنفسه، ص 186

تراهم في الرخا، أسدا غطارفة إن حل خطب على أعقابهم رجعوا

لا بارك الله في قول بلا عمل فإنهم بحديث الليل قـــد ولعـــوا[1]

وتجدر الإشارة إلى واحدة من أهم وأشهر وأروع قصائده، وهي قصيدة الحرية، أين نجده يتغزل بالحرية، دالا بذلك على سمو هدفه وتعطشه اللا محدود للنصر والحرية، يقول:

لا تلمني في حبها وهواهـــا لست أختار ما حببت سواها

هي عيني ومهجتي وضميري إن روحي وما غلي سواهـــا

إن عمري ضحية لاراهـــا كوكبا ساطعا يبرح علاهـــا

فضائي موكل برضاهـــــا وشقائي مسلم لشقاهـــــــا

إن قلبي في عشقها لا يبالي تنطوي الأرض أم يخر سماها[2]

ونجده أيضا في بعض الأبيات يحذر من فقدان الأمل في نيل الحرية والاستقلال وعدم التراجع والاستسلام مهما اشتدت المصائب، فالجهاد والصبر والنضال لا يكلل إلا بالنصر في النهاية، ومن الأبيات الدالة على ذلك: قوله في قصيدته " الخيبة الكبرى"

لا تفتدوا طالبين المجد أنصحكم فالمرء قصرا على ما هم ينطبع[3]

وقوله في القصيدة "أطلبوا العز وعيشوا كرماء"

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 193

[2] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 83.

[3] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وأثاره، ص 193.

لا تمّلوا لا تميلوا أبدا إنما النصر حليف البسلاء[1]

ب.نبذ الاختلاف والدعوة إلى الإتحاد.

لقد تسببت السياسة الخبيثة للاستعمار الفرنسي وعملائه من الجزائريين في تشتيت الشعب الجزائري، وإدخاله في شراك النزاعات والخلافات، وهذا ما دفع برجال الحركة الإصلاحية من أدباء وشعراء إلى محاولة توحيد الصفوف ونبذ النزاعات والشقاقات الحاصلة بينهم، داعين في الوقت نفسه إلى التكاتف والإتحاد، ولا يمكن تحقيق النصر إلا بتضافر الجهود وتوحيد الكلمة، وحمود رمضان هو واحد من هؤلاء الشعراء الذين دعوا إلى هذا الأمر من خلال قصائده.

نجده في كثير من قصائده باكيا حزينا على حالة بلاده التي تسود فيها حالة من الخذلان والافتراق ونحن أبناء بلد واحد، يقول في قصيدته "دمعة على الأمة"

بكيت على روح البلاد تضاءلت بجهل وخذلان وكفر النعائم

جمود وجهل وافتـــراق تجمـعت علينا فلم نحفل برفع الدعائم[2]

ونجده في مقابل ذلك يدعو الشعب للاتحاد والتكاتف، يقول في قصيدته "أطلبوا العز وعيشوا كرماء" داعيا الشعب الجزائري إلى الوقوف وقفة رجل واحد لطرد المستعمر الفرنسي، يقول:

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 185

[2] المرجع نفسه، ص 165.

ولتكونوا كجدار واحد لبناء المجد مثل العظماء[1]

ويرجع "حمود رمضان" الحالة التي آلت إليها الجزائر والعلل التي تتخبط فيها إنما هي راجعة إلى النزاع والافتراق الذي ساد بين الجزائريين، يقول في قصيدته " الصحافة"

لما سافرت الأفكار وأشعلت نار النزاع رماها الله بالعلل[2]

ونجده في قصيدة أخرى بعنوان "فحياة العز بالعلم الثمين" يقول:

خبروني ببلاد سعدت واستقلت باختلاف ونفاق

خبروني ببلاد شفيت باتخاذ واختلاف ووفـاق[3]

فمن خلال هذه الأبيات بين لنا الشاعر أنه لا يمكن لأمة أن تعيش في سعادة غلا إذا كان شعبها يعيش في إتحاد وتكاتف، وغن غاب هذا الإتحاد فلن يكون نصيب تلك الأمة إلا الشفاء والتعاسة.

ونجده يقسم في قصيدته " دمعة على الأمة" أن الشعب لن يبلغ ولن يصل إلى أعلى المراتب مادام يعيش في نزاع وتخاذل يقول:

فإن دمتم فيما أرى من تخاذل فلن تبلغوا والله أعلى المراتب[4]

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 185.

[2] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 80.

[3] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وأثاره، ص 171-173.

[4] المرجع نفسه، ص 166.

ويصرح مباشرة بأن السعادة لا تأتي إلا بالاتفاق وجمع الشمل يقول في قصيدته " أقسام الناس"

واجمعوا شملكم واتفقوا ثم كونوا كبقاء تسعدوا[1]

أما في قصيدته "نعم الجدود ولكن بئس ما تركوا" نجده يبين أن الدين الحنيف يحثنا على الإتحاد والتكاتف ويحذرنا من النزاع والافتراق، فعلام النزاع والدين واحد، ويرى أن فئة قليلة متلاحمة تغلب فئة كبيرة مختلفة ومتنازعة، يقول:

كثرة الناس لا تفيد إذ ما هدم النذل ما بنته الكـرام

فقليل من الوئام كثير وكثير من الخلاف عظام

فعلام الفراق والدين فرد وعلام النزاع وهو حـــرام

لن يفل الحرام غلا اتحاد وثبات وعزمـــة ووئـــام[2]

وفي قصيدته "القديم والجديد" نجده يتمنى ويرجوا أن يأتي يوم تزول فيه الأحقاد والضغائن وياتي فجر يوم جديد تسوده الألفة والمحبة والوئام، يقول:

وإنا لنرجو من صميم فؤادنـا بأن ننبذ الأمتعان والحقد والجـفا

وتتحد الأقوام قلبا وقالبـــــا إلى أن نرى عصرا جديدا مزخرفا

فيسعد....ميزاب وتعلو جزائر وبينهما تجري المحبة والصفـــا[3]

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 203.

[2] المرجع نفسه، ص 198-199.

[3] المرجع نفسه، ص 202-203.

أما في قصيدة له شارك فيها في مسابقة الشهاب، مجيبا على سؤال المسابقة بماذا تحيا البلاد؟ يبين فيها أهمية إتحاد والتكاتف في الرقي بالأمم والشعب فقال في السؤال:

سألوني بماذا تحيا البلاد وبماذا تعيش فيه العبـــــاد

كأسود طليقة في حماهـا لا ترى ما يسودها اتقـــــاء

وبماذا يقود شعب ضعيف من سقوط وقد دهته الشداد

فيجيب قائلا:

كونوا وحدة وسيروا جميعـا وانبذوا عنكم الخلاف الشنيعا

واجعلوا للوفاق فيكم مكانـا لتنالوا به المكان المنيعـــــا

خبروني فهل سمعتم شعوبا أدركت بالشقاق مجدا رفيعـا

قوة لنا من اتحـــــاد متـــين وقوي حقوقه لنـــ تضييعـا

كل شعب أبناؤه في افتراق بات بين الأنام شعبا وضيعا[1]

و من خلال ما سبق ذكره أن الشاعر "حمود رمضان" قد أولى للجانب السياسي عناية كبيرة في أعماله الشعرية، فقد سعى جاهدا إلى إيقاظ الوعي الثوري في نفوس الجزائريين داعيا إياهم إلى التصدي على المستعمر الغاشم من أجل الظفر بالحرية وتقوية الروح الوطنية في نفوس الجزائريين يقول: " غايتنا الوحيدة التي ترمي إليها نهضتنا العلمية

[1] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 72.

الإصلاحية هي إحياء ما إندرس من مجد آبائنا والاقتداء بعظمائنا وتلقين العالم بأننا أمة إسلامية متمسكة بدينها وعوائدها وقوميتها ووطنها"[1]

3.الإصلاح في المجال الاجتماعي:

لقد عاش الشعب الجزائري معاناة ومأساة اجتماعية كبيرة إبان فترة الاحتلال الفرنسي، هذا الأخير الذي استهدف تخريب المجتمع الجزائري ومقوماته، فعملوا على نشر الفساد والآفات في أوساط المجتمع الجزائري، في مقابل ذلك أدرك رجال وعظماء الحركة الإصلاحية في الجزائر ما يرمي إليه الاستعمار الفرنسي من وراء سياسته المنتهجة، فكانوا له بالمرصاد وحمود رمضان هو واحد من هؤلاء أين سعى من خلال قصائده إلى النهوض بمجتمعه وانتشاله منه الوضع المزري الذي آل إليه، وقد تناول في شعره مجموعة من القضايا الاجتماعية بصدق وإحساس مرهف ساعيا من خلالها إلى نقد الواقع وإصلاحه، وحسب تتبعنا لشعره نجده قد ركز على قضيتين وكان لهما حضور بارز في قصائده وهما قضية الجهل والدعوة إلى العلم والثاني التركيز على قضية الشباب.

أ.نبذ الجهل والدعوة إلى العلم:

لقد ركز حمود في إصلاح وضعية المجتمع الجزائري على نبذ الجهل والتحذير من مخاطره داعيا في الوقت نفسه إلى محاربة من خلال الإهتمام بالعلم وكان الشعب الجزائري يتخبط في جطالة عمياء نتيجة للسياسة الاستعمارية المنتهجة فقد عمدوا إلى إغلاق المدارس

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وأثاره، ص 248.

والنوادي والجمعيات الثقافية والتضييق على المعلمين والعلماء، كل تلك السياسات وأخرى أتت على شيوع الجهل والأمية في أوساط المجتمع الجزائري.

في كثير من القصائد نجد "حمود رمضان" يتأسف ويتحسر على حال أمته التي أصبحت تتخبط في الجهل والأمية، يقول في قصيدته "أيها الناس اسمعوا وعوا"

تراكم داء الجهل فوق ربوعكم وهذه بيوت عاث بها الجدب[1]

في هذا البيت نجد " رمضان حمود يصف الجهل بكلمة الداء، وهذا راجع إلى شدة خطورة الجهل على الأمة، والأمة التي ينتشر فيها الجهل تبقى في مؤخرة الأمم. ولكن حمود لم يكتفي بالحزن والأسى فقط، فهو يدعو في كثير من القصائد إلى الأخذ بالأسباب لنيل المراتب وذلك من خلال الإقبال على العلم ومحاربة الجهل " يقول في قصيدته " نحو الأمام"

بإكرام الناس قوموا من سبات لا يليق

انبذوا الجهل وروموا كل علم واستفيقوا[2]

فنجد الشاعر هنا يدعو الشعب للاستفاقة والتنبه من الأطر المحدق بهم، داعيا إياهم بطريقة مباشرة من خلال فعل الأمر(قوموا - أنبذوا - روموا - استفيقوا) إلى نبذ الجهل والسعي وراء التعلم فهو مفتاح التقدم والرقي.

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 189.

[2] المرجع نفسه، ص 167.

* هكذا وردت

ونجده في قصيدته "الحبيبة الكبرى" يدعو الشعب إلى التخلص من داء الجهل أين شبهه- الجهل بالوحش أو الحيوان المفترس الذي له مخالب ولن يتخلصوا من هذا الوحش إلا من خلال الاندفاع والإقبال على العلم والمعرفة، يقول:

إذا مضى الليل وانجالت* كتائبه وأقبل الصبح بالأنوار يجتمـــــــع

أصيح فيهم بصوت عز قائلـــه ألا حياة بها في الناس ترتفـــــــع

فمزقوا الجهل وأنجو من مخالبـه فالجهل بالعلم والتفكير ينقطـــــع

وحيثما كنتم ولوا وجوهكـــــــم وجوهكم شطر شمس العلم واندفعوا[1]

ونجد في قصيدة "أهلا وسهلا بالنبي محمد" يشكوا للنبي حال أمته المزري بسبب الجهل المتفشي فيها ويقول:

أنبيئنا! ما كاد الجهل بيدنا إن البلاد تئن مـــــن آلامـــه

أنبيئنا! ساد الفساد بشعبنـا وسطا الفجور عليه من ألغامه.[2]

وفي كثير من الأبيات نجده يؤكد على ضرورة طلب العلم ولن تنال أمة عزها وشروط إلا بالعلم، يقول مثلا في قصيدته " وحي الضمير"

تروم السعـــادة، لكنهـــا من الجهل لم تدر نهج الصواب

وتبغي الحياة ونيل المنى وهي من العلم خلو الخطـــاب

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 193.

[2] المرجعنفسه، ص189.

فكيف تنال العلا أمة وضوح المعارف فيها خراب؟![1]

فهو يتعجب من الشعب الذي يسعى لبلوغ المراتب ونيل العلا وهو بعيد كل البعد عن ساحة العلم والمعرفة متخبطا في الجهل والأمية ، ثم يعود ليذكر بماضي أجدادهم العريق علا وعسى أن يستفيق الشعب من سباتهم، يقول:

أيا أمة عما فيها الشفـــا لقد كنت لا ترضين الشباب

وكنت منارا على علـــم ينير الفضاء ويهدي الركاب

فأصبحت موثقة للخطوب تجر عليك صنوف العذاب

فليس عليك ملام، وقـــد تمسكت بالقشر دون اللباب[2]

ويجدد نفس الفكرة في قصيدته "علام نلوم الدهر"

ونبغي حياة العز والجهل دأبنا وهل نال عزا في البسيطة جاهل؟[3]

ويؤكد حمود أنه لن ينال المرء عزه وشرفه علا علم، وإذ بقي حبيس الجهل واللامبالات فسيبقى في أسفل السافلين، يقول في قصيدته " دمعة على الأمة"

وما المرء إلا بالعلوم معظم ولا نال بالإهمال أعلى المنازل[4]

ثم يذكر حمود الشعب بالغرب، وما وصل غليه من تقدم وازدهار بفضل اهتمامهم بالعلم والمعرفة، طامعا في مستقبل أفضل لأمته، يقول في قصيدته "إلى شبابنا المتنورين"

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 188.

[2] المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[3] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 89.

[4] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وأثاره، ص 165.

فتقدموا من بعدنا يـــعلوا منـــا بلغوا العلا بمكاننا المـــــتروك

أنكون كالمدارس نحرق حيد منا وتنيرهم بشقائنـــا المحـــــبوك

لا تحجبن فالعلم يرفـــع أهلـــه والجهل يهدم عرش كل الملوك[1]

ونفس الفكرة نجدها في قصيدة "اطلبوا العز وعيشوا كرماء"

أنظروا الغرب، يعلم ما بنـــــى من قصور شامخات للعلاء

عاش في الأرض كلبين الباسل ينظر الناس بهـــزء وازدراء

طار في الجو كنسر، وطمـــا فوق لج البحر يبدو كـبناء

ملك الدنيا ومـــا يتبـــعهـــــا من تراب ومياه وهـــــواء[2]

ونجده في قصيدة "أيها الناس اسمعوا وعوا" يدعو الشعب ويحثهم فيها على الجد والكد في طلب العلم، محذرا إياهم من اليأس والفشل، يقول:

فلا تيئسوا يا قوم، لا تتأخـــروا أمام عالم من إذ يفيض بها الغرب

فجدوا، وكدوا كي تنالوا منالكم وبالحزم والإقدام يستسهل الصعب[3]

وحمود في دعوته إلى العلم لا يقتصر على الذكور فقط، ولكن حتى البنات يجب أن يتزودوا من مختلف العلوم لتكون بجانب الرجل في النهوض بمجتمعهم، يقول في قصيدته " نعم الجدود لكن بئس ما تركوا"

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 199.

[2] المرجع نفسه، ص 186.

[3] المرجع نفسه، ص 170.

علموا الابن والبنات جميعا إنما العلم فطنة والتزام

علموهم وسيلة ليعيشـــوا كبدور تحفها الأجـرام[1]

ونجد "حمود " في قصيدته" بماذا تحيا البلاد " يحث ويدعوا إلى بناء المدارس والمعاهد والنوادي والجمعيات التي لها دور بارز في نشر العلم وتثقيف الشعب، يقول:

أنفقوا وقتكم في نفع البـــلاد وأنقذوها بحكـــمة وســـــداد

وانشروا راية العلوم عليهـــا واعملوا جهدكم في فتح النوادي

شيدوا للبنين ادوار علـــم ليعيشوا الأحرار بين العمـــاد

رودوهم من كل فن نصيبـا إن نور العرفـان أفضـــل زاد

لا تقوم البلاد من غير علم إنما العلـم سلـــم للرشـــاد[2]

ويحثهم أيضا على الأخذ والاهتمام بمختلف أنواع العلوم والمعارف الجديدة والاستفادة منها وهذا ردا على أصحاب الفكر المختلف والمتعصب الرافضين لكل ما هو جديد بحجة كل بدعة ضلالة يقول في قصيدته "إلى شبابنا المتنورين"

خذ العلوم إلى الحياة سبيلها فالعلم سيف من عن يفديك

وتعلمي من كل علم لبـــه فالجهل داء بالردى يسقيك[3]

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 198.

[2] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 73.

[3] محمد ناصر، حمود رمضان حياته وأثاره، ص 199.

ويحذر " حمود"من عدم صيانة العلم وحفظها،فالأمة التي ترمي العلوم وراء ظهرها فيبشرها بسوء المال والبؤس والشقاء، يقول:

فإن لم تصونوا العلم ساء مالكم وشتم على بؤس وحقكم الكرب [1]

ب.إصلاح حـــال الشبـــــاب:

لقد أولى رجال وشعراء الحركة الإصلاحية عناية بالغة بفئة الشباب كونهم عماد الأمة ومحركها "فالشباب مصدر جميع القوات البشرية في أطوارها كلها"[2] لكن عند احتلال فرنسا للجزائر ساء حال الشباب ودخل في دوامة من الفساد والانحرافات فانتشرت بذلك مختلف أنواع الآفات الاجتماعية، وهذا ما دفع "رمضان حمود" لنظم قصائد ينقد فيها تلك الانحرافات ومحاولا إصلاحها.

يقول في قصيدته "إلى شبابنا المتنورين"

يا نخبة العصر الجديد تيقظي فما للدهر يمشي والكون يكفيك

سيرى مع الأيام واتبعي الهدى فالسير في سبل الهـدى ينجيك

سيسرى حثيثا للأمام، تعلـمي تاريخ قوم شـــيدوا ناصـــــبك

أنت البلاد سماؤها وترابهـــا مـــــنك النجـــــاة لشعبـــــنا[3]

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص199.

[2] المرجعنفسه، ص 258.

[3] المرجع نفسه، ص 199.

ويحثهم أيضا على التحلي بالأخلاق الفاضلة والحميدة، يقول في قصيدته "بماذا تحيا البلاد"

لا ينال الحياة إلا القديـــر وكريم الأخلاق ليث هصـــــور

زينوا علمكم بفضل وخـلق ليس يبلى السري وتبلى الدهور

إنما الناس بالمكارم تحـــيا وتموتون بالضـــنا والفجـــور

حكموا العقل واجعلوه إماما قيمة المرء عقله والضمـــــير

نحن نحتاج للمكارم يومـــا عن كبونا فالويل ثم الثـــبور[1]

أما في قصيدته "علام نلوم الدهر" فهو يتذمر من حال شباب الجزائر أين أصبحوا عبيدا لأهوائهم وملذاتهم يقول:

شباب على نهج الغواية سادر وشيب عن الإرشاد والنصح عادل[2]

ونجده يخاطب الشباب في قصيدته "أطلبوا العز وعيشوا كرماء" يقول:

أشبابا! اجتمعوا في زمـــن يخلب العين جمالا وبهـــاء

هل لكم فيه نصيب نافـــع يتراءى كشعاع الكهربـــاء؟

هل لكم ذكر به بين الورى أم قنعتم بخمول في الوراء؟

هل لكم فيه حقوق ظـهرت لجميع الناس من غير خفاء

[1] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 73.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وأثاره، ص 182.

هل لكم رأي سديد نأخـــذ فيه أم ليس لكم غير المــواء؟

هل لكم فيه كـلام رائـــع من كتاب الله يهدي الحكماء؟

حسرتي لم أر هذا عندكم ولعل الله يأتـي بالشـــــفاء[1]

فنجد الشاعر في هذه الأبيات متحسرا حزينا لحال الشباب وما يعانيه، فهو كسول وخامل لا يطلب العلم ولا يطالب بحقوقه ولا يدافع عنها وبقي قابعا في مؤخرة الأمة والشعوب راضيا بحياته هذه، ويبقى أمل الشاعر في الله عزوجل عسى أن يهديهم إلى طريق الحق.

ثم نجد الشاعر ناقما على المتزمتين المتعصبين الذين يزرعون أفكارا هدامة في عقول الشبيبة الجزائرية، يقول:

ولا ينظرون إلى الناس كيف تقدموا كان له قلب أصم من الـصدفا

ويسعى إلى قتل الناهضين بجـهده وينثر ما يمليه بفضـه مردفـــا

ويخضب من نور العلوم إذ بـــدا بقطب إن وجه الزمان لنا صفا[2]

ثم يرد عليهم بأنه وأمثاله المصلحين لا يخافون منهم ولأن مساعيهم، وسيظلون يناضلون من أجل هذا الوطن من خلال الإقبال على علوم العصر بمختلف أنواعها ويقول:

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 185.

[2] المرجع نفسه، ص 202.

فلا تحسبوا أنا نخاف جمودهم كفى، قد جبرنا . فالسكوت من الجفى

فو الله لأنثني عن السعي للعلا ولو كان في الإقدام موت مصحفا

وهيهات أن نبقى رقودا وعصرنا منير بأنواع العلوم تلحفا[1]

نجد الشاعر أيضا ينتقد صفة الغرور والتكبر، مبينا مساوئ هذه الصفات وأن حبلها لن يدوم ولن يطول، يقول في قصيدته " الخيبة الكبرى"

دعوت قومي للإصلاح فامتنعوا وقد دروا أنه حق، وما خضعوا

لا ينصتون لقول جاد معتبرا لأنهم في مروح الكبر قد رتعوا

يبكون حالهم من شر نكبتهم وإن أتاهم مراعي منهم اضطجعوا

قد قيض الله فيهم من يحق له أن يقتدي، فإستخفوه وما انتفعوا[2]

ويقول في قصيدته " الدهر كفيل بتنبيه المغردين"

إذا كنت في أمة قد رأت سنن العلم فيها بعين الجفاء

ترى العلم والجهل في ربعها تحسم ذاك وهذا هباء

تسير على الغبي في سرعة ولم تبصر النقص في الكبرياء

ولم تعرف حق من باطل عدو وخل لديها سواء

تظن بان لها قوة لتملك أرضا وجوا وماء

إذا قلت إنك هاوية فمدي يديك نظر للعلاء

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 201.

[2] ت المرجع نفسه، ص 193.

وناديت فيها ألا نهضة أجابتك بالهزء والإزدراء

ومن الصفات التي ذكرها أيضا في شعره النزعة المادية، أين نجده ينتقد الأشخاص الذين يسعون وراء الدنيا وملذاتها تاركين بذلك الشيء الذي ينتفع به، يقول في قصيدته "دمعة على الأمة"

بكيت عليهم كلما هب حرمهم وظنوا بأن المرء عبد الدراهم[1]

نجد أيضا صفة التقليد فنجد الشباب الجزائري يقلد الفرنسيين في جميع الأشياء، متنكرين بذلك لثقافتهم ودينهم، يقول:

يسير وراء الناعقيـن تهالكـا لتحظى ببعض الشيء والشيء سافل

نرى قولهم حقا وصدقا وحجة وإن جاء منهم تافـه فـهو كامـل

نقلدهم كالببـغاء تفرنجـا ولم تتـبع ما قررتـه الأوائـل

نقلدهم في فسقهم ومجونهـم ولكن نسـوا بينـنا والفضائـل[2]

وما يمكننا قوله أن الشاعر "حمود رمضان" قد اهتم بمشاكل وآلام وآمال مجتمعه كل ذلك من أجل انتشاله من الوقع السيئ الذي آل إليه، وهذا ما سعى إليه مختلف شعراء ورجال الحركة الإصلاحية، فمن خلال تتبعنا لشعر الشاعر وجدنا أن مداره هو المجتمع

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 165.

[2] المرجع نفسه، ص 89.

الجزائري بمشكلاته الاجتماعية المختلفة، وقد آمن " رمضان حمود" وأمثاله من المصلحين بأن تهذيب الشعب وإصلاح عيوبه هو الخطوة الأولى للتحرر من أي قيد[1]

مبحث 03: خصائص الشعر الإصلاحي عند حمود رمضان

بعد دراستنا لشعر حمود وجدناه يتسم بمجموعة من الخصائص أهمها:

1. اللغة الشعرية:

لقد أولى النقاد عناية كبيرة لعنصر اللغة الشعرية وهذا لأهميتها فهي أهم عنصر يرتكز عليها النص الشعري يقول محمد غنيمي هلال " إذا كان العمل الأدبي- بعامة- يتوقف على الدقة في الصياغة، فإن أولى مميزات الشعر استثمار خصائص اللغة يوفها مادة بنائية "[2]

وإذا تحدثنا عن اللغة الشعرية عند شعراء الإصلاح نجدها " قد تميزت في هذه المرحلة بالتقريرية والمباشرة، وتعود فيما نحسب إلى مفهوم الشعراء لوظيفة الشعر ورسالته في الحياة، فلم يكن الشاعر الإصلاحي- إلا نادرا- ينظر إلى اللغة من جانبها الجمالي بهدف إثارة الإحساس الفني لدى المتلقي بقدر ما كان يهدف إلى إيصال أفكاره غليه، لقد كان ينظر إلى الشعر بوصفه وسيلة من وسائل الإصلاح والنهوض والوعظ والإرشاد والتربية

[1] عمارة حياة، الإتجاه الإصلاحي في شعر محمد العيد آل خليفة، ص 113.

[2] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة بيروت، ط1، 1982، ص 48.

والتوجيه.... فمهمته الأساسية عنده هي الاقتناع لا الامتناع وهدفه الوصول إلى عقل المستمع أو القارئ في أقرب السبل وأحصرها"[1]

فظاهرة التقريرية والمباشرة هي سمة بارزة في الشعر الإصلاحي، وهذا موقف العديد من الدارسين والنقاد على رأسهم " مطر ناصر" الذي قال " ويحسب أن هذه الظاهرة قد تجلت بصفة لافتة للنظر في المرحلة الإصلاحية ولا سيما في القصائد التي تعالج موضوعات دينية أو اجتماعية هذه القصائد التي يتقلب فيها الموقف الموضوع على الشاعر"[2]

وقد طغت ظاهرة التقريرية والمباشرة في الشعر الإصلاحي ومرد ذلك إلى مفهوم الشعراء الإصلاحيين للشعر ووظيفته في المجتمع.

وباعتبار الشاعر "حمود رمضان" من الشعراء الإصلاحيين فنحن نلمس هذه الخاصية في شعره وفي كثير من قصائده نجد ظاهرة التقريرية والمباشرة طاغية عليها، نلمسها مثلا في قصيدته " نحو الأمام" في قوله:

بإكرام الناس قومـــوا من سبات لا يليـق

أنبذوا الجهل وروحوا كل علم واستفيقـــوا

أنبذوا ذاك التوانـــي وافعلوا فعل الرجال[3]

---

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 282.

[2] المرجع نفسه، ص 277.

[3] محمد ناصر، حمود رمضان، حياته وأثاره، ص 167

فمن خلال هذه الأبيات تلمس ظاهرة المباشرة، وهذا لراجع للمقام الذي يتحدث فيه الشاعر والجمهور الذي يخاطبه، فهو يخاطب عامة الشعب ويدعوهم إلى النهوض والاستفاقة من سباتهم، لذلك نجده يستخدم لغة مباشرة تقريرية لكي يفهمه الشعب، مبتعدا في ذلك عن استعمال المفردات والتراكيب المعقدة.

وتلمس هذه الخاصية أيضا في قصيدته "شعري وشعوري وحديث ضميري" يقول:

أقول الحق جهرا لا أبالـــي ولو سقط الجميع من المقـال

أسير إلى الأمام إلى الأمام ليحس إذا بدا وجه المـــــال

أقوم بواجبي وأصون شعبي بما أعطيت من فكر جـــوال

أنشط للعلوم نفوس قومـــي وانشر ما استطعت بكل حال[1]

ظاهرة المباشرة واضحة في هذه الأبيات فالشاعر يفصح عن هدفه ورسالته في أمته، فهو يسعى جاهدا للدفاع عن شعبه ووطنه ويقوم بتوعية الشعب وتوجهه ويدعوهم إلى الإقبال على العلم، عبر عن كل ذلك بلغة واضحة ومباشرة بعيدة كل البعد عن الأسلوب المعقد والمتكلف.

ويقول في قصيدته إلى شبابنا المتنورين:

لا تسمعي صوت الذي يجمدوه ينهاك أو يسعى لأن يفتيك

لا تنظري للخلـق يومـــا إنـــه في هزة وتقهقـر يرميـــك

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 195.

بل الأمام إلى الأمـــام تقدمـــي رغم العداة ورغم من حسدوك

بالعلم والأخلاق والدين اصعدي لا بالحرب ولا بالدم المسفوك[1]

تقريبا لا نجد أثرا للمسة الفنية الجمالية في هذه الأبيات لخلوها من عنصر الخيال والتصوير فلولا الوزن والقافية لكانت تلك الأبيات نثرا، هذا لأن الشاعر هنا في مقام الوعظ والإرشاد والتوجيه ومثل هذه الأعراض تستوجب استعمال لغة تقريرية مباشرة.

والخاصية الثانية البارزة في الشعر الإصلاحي هي خاصية السهولة والوضوح، وهذه الخاصية يرجعها الدارسون والنقاد إلى مجموعة من الأسباب أهمها "أن الشعراء الإصلاحيين بحكم رؤيتهم التقليدية للغة لم يحاولوا أن يتعاملوا مع اللغة تعاملا غير عادي باستخدام الرمز اللغوي أو الإتيان بعلاقات جديدة، وإنما بقيت اللفظة عندهم في حدودها المعجمية، وظل التعبير يعتمد الكلمات المختارة المرئية.... فلا تقديم ولا تأخير ولا تعدد، والسبب الثاني موقف الشعراء الإصلاحيين ورؤيتهم النقدية لوظيفة الشعر، فقد كان الشعراء يكتبون للشعب ويستخدمون الشعر أداة من أدوات الإصلاح، والثالث طبيعة المعجم الشعري الذي كان متداولا من طرف الشعراء الإصلاحيين."[2]

لقد اعتمد الشعراء الإصلاحيين على اللغة البسيطة والواضحة بالنظر إلى وظيفة الشعر فوظيفته تربوية إرشادية والشعر عندهم أصبح وسيلة أو أداة من أدوات الإصلاح إضافة إلى المعجم الشعري وطبيعة المواضيع التي كانوا يكتبون فيها (ديني-اجتماعي...)

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 199.

[2] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 287-288.

وإذا عدنا إلى الشاعر " حمود رمضان" نجده استخدم لغة سهلة وواضحة بعيدة عن التعقيد والتكلف وقد دعا "حمود " الشعراء إلى استخدام اللغة الواضحة والسهلة التي يفهمها عامة الشعب، يقول:« لا يسمى الشاعر شاعرا عندي إلا إذا خاطب الناس باللغة التي يفهموها، بحيث تنزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسمة، لا أن يكلمونا في القرن العشرين بلغة امرئ القيس وطرفة والتعلعل الجاهلين العابرين »[1]

فنجد "حمود" هنا يعطي مكانة هامة للشعر في الحياة، واللغة التي يدعوا إليها "حمود" هي اللغة المتماشية مع روح العصر، فلا يمكن أن نعيش مثلا في القرن العشرين ويطلع علينا شاعر يكلمنا بلغة العصر الجاهلي، فهذا لا يعد شاعرا بالنسبة إليه، فعلى الشاعر الحقيقي أن يكلم الناس بما يفهمون وبالتالي تكون لغتهم سهلة وواضحة بعيدة عن التكلف والتصنع.

نجد "حمود" في شعره أيضا ينتقد الذين يتكلفون في استعمالهم للغة ويخاطبون الناس بما لا يفهمون، فهم يكتبون لذواتهم لا لمجتمعهم وشعبهم، يقول:

في الناس قوم لن يبالوا إن أتــوا بغريب لفظ أو قبيح بناء

وضعوا الكلام لنفسهم وضميرهم لا للأنام كعبرة عليـــاء

جعلوا الكتابة غاية يسعى لهـــا أو منصبا لفخامة وثناء

[1] محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وأثاره، ص 68.

زعموا الفصاحة والبيان بوصفهم وعر الكلام كصغرة صماء[1]

وقد انتقد "حمود" الشعراء المتكلفون الذين يستعملون لغة غامضة ومبهمة في شعرهم بعيدة عن روح العصر وعلى رأس هؤلاء الشعراء "أحمد شوقي" يقول عنه " وأكثر شعره أقرب إلى العهد القديم منه إلى القرن العشرين"[2] فحمود ينتقد الشاعر أحمد شوقي وأمثاله الذين يعدون في كتابتهم إلى استعمال لغة غامضة لا يمكن فهمها غلا بالاستعانة بالقواميس والمعاجم، ولغته بعيدة كل البعد عن روح العصر ومشكلاته. يخاطب الأدباء قائلا "فيا أيها الأدباء الأحرار انبذوا عنكم التكلف والتنطع في اللغة وافرغوا المعنى الجميل في اللفظ الجميل "[3]

ونورد هنا بعض الأمثلة عن لغة " حمود" البسيطة والواضحة، يقول في قصيدته "نغمة الشباب"

أرى الشرق يسعى إلى خنقي إذ بد الدين ثـــم كفـــر

أرى الشرق يبغي الخراب وقد تقهقر على خلقه وانكسر

أرى الشرق يبقى أسيـــرا إذا عن العلم فر ولم يعتـبر[4]

نجد الشاعر هنا قد استعمل لغة سهلة بسيطة وواضحة، يفهمها المثقف والعامي، وهي بعيدة عن التكلف والتصنع.

---

[1] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 105.

[2] المرجعنفسه، ص 109

[3] المرجع نفسه، ص 119.

[4] محمد ناصر، حمود رمضان، حياته واثاره، ص 176.

ويقول في قصيدته "في سبيل الحق"

واعزموا فيكم وئامـــا وامحقوا داء الخصام

وانصروا الدين وكونوا جنده عنـد النضـــال

وتعالــوا ننشـــر الحـ ق جهارا في الأنــام[1]

يستهل الشاعر من لغة في غاية البساطة والوضوح، وهذا طبيعي كونه يخاطب الطبقات الوسطى والسفلى في المجتمع، فيستهل بذلك لغة تتماشى مع مستواهم.

نجده يستهل اللغة الواضحة أيضا في قصيدته "فحياة العز بالعلم الثمين" يقول:

لن ينال العز شعـــب كالجماد فاقد الإحساس خال من الشعور

لن ينال المجد شعـــب بالرقاد يترك اللـــب ويعنـــى بالقشـــور

إنما المجد قريـــب بالجهـــاد ووئام وثبـــات فـــي الظهـور

أي شعب ساء في هاتهي الدنى بجمـــود وخمـــول وكســـل[2]

فالشاعر إذا يعتمد في شعره على استخدام اللغة البسيطة والواضحة، ويدعوا الشعراء والأدباء إلى استعمالها أيضا، ولكن هذه الدعوة ليس معناه استعمال لغة دارجة أو قبيحة، فتبقى اللغة عنده من مقومات الأمة والهوية وحب صيانتها، فنجده يوجه رسالة إلى الأدباء

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 177.

[2] المرجع نفسه، ص 171.

والشعراء يقول: "أجهدوا أنفسكم في درس لغتك، في فهم أسرارها، في تدقيق معانيها...أبعدوا عنكم كل صلة بينكم وبين ماضيها، اجعلوها وسيلة إلى نيل مآربكم"[1]

وإذا عدنا على المعجم الشعري عند "حمود رمضان" نجد أربعة معاجم طاغية في شعره، الأول الديني(وسنورده في مبحث لاحق) ، والثاني المعجم السياسي والثالث المعجم الطبيعي، أما الرابع هو المعجم العاطفي الوجداني.

نجد المعجم السياسي حاضرًا في شعر "حمود" ونورد هذا الجدول لثلاث قصائد كان حضور الألفاظ السياسية فيها لافتًا.

عنوان القصيدة	الألفاظ ذات البعد السياسي
حياة العز بالعلم الثمين	شعب – العز – المجد – الجهاد – الشعوب - البلاد – الاختلاف – اتحاد – وفاق – ائتلاف – أمة – اضدهاد – النضال الشعبي – الوطن – رجال الشعب – أسد الثرى – محاكم – النصر – نزاع – اتحاد.
أيها الناس اسمعوا وعوا	رجال الشعب – البلوى – استحل الخطب – عبوا – أفيقوا – صونوا لنا مجدًا – الخطوب – القوم – الحزم – الإقدام – العز – أسودًا – الشرق – الشدة.
في سبيل الحق	الشعب – النداء – الشرق – العز – المجد – القوم – الجدال – الوئام – داء الخصام – انصروا – الجند – النضال – الحق – أسيرا – الأصفاء.

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 68.

وما نستنتجه من هذا الجدول ومن الحضور اللافت للألفاظ ذلت المدلول السياسي هو الهدف الذي يرمي إليه الشاعر وهو شحذ الهمم إيقاظ الضمائر من أجل النضال وطرد المستعمر، ويكشف لنا أيضًا على مدى حبه وتعلقه بوطنه وبالأمة العربية الإسلامية ككل.

ويعتبر "حمود رمضان" من الشعراء الرومنسيين بل بداية هذا الاتجاه –الرومنسي- في الجزائر كان على يده، يقول محمد ناصر: "إن البداية الحقيقية لهذا الاتجاه في الشعر الجزائري الحديث إنما ظهرت على يد رمضان حمود في أوساط العشرينيات، وقد اتضح ذلك بجلاء من خلال آرائه ونظرياته ومحاولته تطبيق ذلك في شعره".[1] ومن المعروف أن من خصائص الاتجاه الرومنسي في الشعر استخدام المعجم الطبيعي والعاطفي، وهذا ما لمسناه في شعر حمود، فنورد هذين الجدولين لتوضيح ذلك مثلاً في ثلاث قصائد:

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 125.

عنوان القصيدة	الألفاظ المنتمية إلى المعجم العاطفي
دمعة على الأمة	بكيت – ذكرت اثنا عشرة مرة – رحمة – صبابة – البكاء – ضعف – النفوس – تساهر – الصدر – الحب – الهوى – أحلام – الدخى – النفس – الحشا.
شعبي الكئيب	الكئيب – الحزين – الدمع – الأنين – الشكوى – الحبيب – القلوب – ذاب قلبي – الغريب – الحزين
شعري وشعوري	شعوري – الآمال – عذاب – جمال – رحمة – المعالي – عواطفي – الوصال – القلب – عذب – الخيال – ضميري – ذل - حب – يائسات – مخرط – عزمي – مثبط – يرجو – العذب – أسعى – مجد – عزم.

وفي الجدول الآتي سنوضح حضور المعجم الطبيعي من خلال ثلاث قصائد.

عنوان القصيدة	الألفاظ المنتمية إلى المعجم الطبيعي
الجديد والقديم	يجمد – الركود – يسبح – ينفث سمًا – ربوة – حجرًا – الضبّ – الصخر – الكهف – هب – الجو – الريح – الكون – النجم.
في سبيل الحق	البرايا- الظلام – أمتطي – سابحًا – بحور – أطفئوا – النار – اغرسوا – الجبال – الغمام – حمام.
شعري وشعوري	الهزير – الجبال – الواد – النسيم – القمم – الجناح – الليل – النجم – الصواعق – الأرض – النور – الشمس – ظلام – ضوء – هلال – صبح.

يتبين لنا من خلال الجدولين السابقين مدى استعمال الشاعر "حمود رمضان" المعجمين العاطفي والطبيعي، وهذا إن دل إنما يدل على توجه الشاعر وهو التوجه الرومنسي، وإن عدنا إلى الأسباب التي جعلت "حمود" يتأثر بالتيار الرومنسي هي ثلاثة أسباب "نفسية الشاعر التي تميل إلى التغيير والثاني فلسفة المذهب الرومانسي نفسه فالرومنسية تقوم على العاطفة، أما الثالث فراجع إلى واقع المجتمع الجزائري آنذاك".[1]

فنقول أنه وبالرغم من طغيان النزعة التقليدية على شعره إلا أنه كانت له محاولات للخروج عن النظرة التقليدية للغة الشعرية.

2/ النزعة الخطابية:

كما أوضحنا سابقًا أن النزعة الخطابية قد طفت واستفحلت في القصائد الشعرية عند شعراء الحركة الإصلاحية، وهذا راجع إلى الظروف الاجتماعية والسياسية في تلك الفترة، ونظرتهم لمفهوم الشعر ووظيفته في المجتمع فهو شعر دعوة وتوجيه وإرشاد، والخطابة بدورها "أشد الأنواع الأدبية التزامًا، لأنها تهدف أبدًا إلى التأثير والإقناع، معبرة عن عقيدة الخطيب ورأيه في مشكلات الوجود، تشتد باشتداد الأزمات التي ترتبط ارتباطًا جذريًا بمصير الجماعة وتقرير مستقبلها وترجعها بين النزعات والتيارات التي تحدق بها".[2]

---

[1] ينظر، محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 47-48.

[2] إيليا حاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 08.

فتتطور الخطابة وتقوى أكثر عند حلول الأزمات والمصائب، هذا ما حدث تحديدًا في الجزائر، يقول هبد الله الركيبي: "ارتباط الشعر بالفكر الإصلاحي جاء لظروف أحاطت بالفكر والمجتمع والسياسة، فأثرت في الشعر ووجهته لخدمة هذا الفكر".[1]

فعند استعمار فرنسا للجزائر ساءت الأوضاع وتفشت كل مظاهر الظلم والحرمان، وقف الشاعر وقفة مصلح ومرشد مثله مثل الخطيب، فلما رأى الشاعر الجزائري حال شعبه ووطنه والهموم التي يعاني منها وجه شعره لخدمة المشروع الإصلاحي، أين وجد الشعراء ظالتهم في الخطابة فانتهجوا أسلوبها وأدواتها، باعتبار أن الشعر والخطابة في نظرهم لهما نفس الوظيفة وهي التوجيه والاقتناع والارشاد.

و"حمود رمضان باعتباره من شعراء الحركة الإصلاحية، قد استخدم أسلوب الخطابة أسلوبًا واسعًا "وآية ذلك أن الجملة الشعرية عنده صبت كلها أو جلها في صيغة الاستفهام أو الأمر أو النهي أو الطلب أو النداء وكلها قوالب وصيغ خطابية".[2]

والسبب في ذلك يعود لمفهوم رمضان حمود وغيره من شعراء الحركة الإصلاحية لمفهوم الشعر ورسالته في المجتمع "فالشعر في تقديرهم وفي ظروفهم تلك، كان يتخذ أداة للنهوض ووسيلة من وسائل الدعوة إلى الإصلاح".[3]

---

[1] عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 36.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 43.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فلو عدنا لشعر "حمود" نجده يكثر من استعمال أفعال الأمر، ففي قصيدته "نحو الأمام" مثلاً يقول:

يا كرام الناس قوموا من سبات لا يليق

انبذوا الجهل وروموا كل علم واستفيقـوا

انبذوا ذاك التوانـــي وافعلوا فعل الرجال

اتركوا تلك الأمانـي إنها بحر الضلال.[1]

إلى آخر القصيدة.

فنلحظ بذلك طغيان فعل الأمر على هذه المقطوعة "قوموا، استفيقوا، روموا، أنبذوا، افعلوا، اتركوا" ويستعمله في القصيدة كلها بمعدل تسع مرات، داعيًا بذلك شعبه للنهوض من سباتهم ولا أسلوب في هذه الدعوة ينفعه إلا أسلوب الأمر المباشر.

ويقول في قصيدته "في سبيل الحق":

انصفوني يا قومي وأطفئوا نار الجدال

واغرسوا فيكم وئامًا وامحقوا داء الخصام

زانصروا الدين وكونوا جدده عند النضال

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 167.

وتعالوا ننشر الحـ ق جهاراً في الأنام.[1]

فاستعمال فعل الأمر بكثرة في هذه الأبيات (عشر مرات) "انصفوني، امحقوا، انصروا، اغرسوا، كونوا" يتماشى مع المقام الذي قيل فيه القصيدة، فالشاعر في مقام الدعوة والتوجيه فلا ريب أن يكثر من استعمال فعل الأمر.

ونورد في هذا الجدول بعض القصائد التي يكثر الشاعر فيها استعمال فعل الأمر:

عنوان القصيدة	أفعال الأمر	عددها
اطلبوا العز وعيشوا كرماء	ارفع – زام – اترك – أنشد – طالب – حدد – ارجع – أطلبوا – عيشوا – اجعلوا – ارفعوا – أنقذوا – أنظروا	ثلاثة عشر فعلاً
إلى شبابنا المتنورين	سيري – اتبعي – تيقضي – سيري – تعلمي – خذ – تمسكي – تعلمي (2)- تقدمي – استرجعي – اصعدي.	اثنا عشر فعلاً
وطني بالنفس تفدى	أنصروا – اطلبوا – أبذلوا – قاوموا – أنزعوا – جددوا.	ستة أفعال
أيها الناس اسمعوا وعوا	هبوا – شيدوا – كونوا – أفيقوا – صونوا خفضوا – جدوا – كدوا.	ثمانية أفعال

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 177.

ومن الأساليب التي يكثر الشاعر استخدامها أسلوب الاستفهام، وهو أسلوب أو صيغة من صيغ الخطابية أيضًا يقول مثلاً في قصيدته "علام نلوم الدهر":

علام نلوم الدهـــــر والله عادل وننسب للأيام ما هو باطـــــــل؟

ونملأ وجه الأرض رطبًا ويابسًا بكاءًا وهل تجدي الدموع الهواطل؟[1]

فنجد الشاعر هنا يخاطب الشعب بأسلوب استفهامي تعجبي مجازي يتساءل عن حالة السكون والسبات التي آل إليها شعبه، موضحًا بأنه لا يجدي البكاء أثناء الأزمات داعيًا بذلك إلى النهوض والنضال.

وأيضًا في قوله من قصيدة "دمعة على الأمة":

ما لشعبي الكئيب بات حزينًا يرسل الدمع تارةً والأنينا.[2]

فيستخدم الشاعر أداة الاستفهام 'ما' معبرًا من خلالها عن حزنه وحسرته على ما يعانيه شعبه من ضعف في النفوس.

وأيضًا في قصيدته "يا قلبي" نجد مجموعة من الأمثلة المتتالية، يقول:

يا قلبي، هل لا وصابك من طبيب يداويك؟

وهل لحزنك من غاية يقف فيها؟

---

[1] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 89.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 166.

ما هذا الشقاء الذي تهتز منه جوانبك؟

وما هذه الكآبة التي ترافقك وتجانبك؟

أما آن للسعادة أن تشرق في سمائك؟

أما آن للبدر أن يسطع في ظلامك؟

أما آن أن ينطق بالأفراح دهرك الصموت؟[1]

ونلمس أيضًا مميزات الخطابة في شعر "حمود رمضان" من خلال المعجم الشعري المستعمل، فنجد الكثير من الألفاظ والعبارات التي نجدها عادة عن الخطيب في المسجد، نذكر منها: "ارجعوا للكتاب – سنة الرسول – رحمة إلى العالمين – دين الإسلام – الدين الحنيف – دين الإله – الصلاح – الضلال – الأخلاق – القدير – الحق – أمة الإسلام – لن يظلم الله العباد – الله عادل – إنا مسلمون – يقينا بالله – الصبر – النصر – يا كرام الناس – الفتح المبين – الله أكبر – جبريل – ولادة الهادي – مهد النبوة – المؤمنون – قوم أحمد – اتقوا..."

ونجد أيضً أسلوبًا بارزًا من أساليب الخطابة حاضرًا في شعر "حمود رمضان" وهو الدعاء، فعادة الخطيب بالمسجد يختتم خطبته بالدعاء، وهذا ما نجده عند "حمود" أيضًا، يقول مثلاً في قصيدته "شعبي الكئيب":

[1] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 86.

يا إلهي أن أنت تعلم سري بين قومي صرت الغريب الحزينا

عجل النصر للبلاد فإنـــا لمعاوي البلاد نساق عزينـــــا.[1]

ويقول في نهاية قصيدته "نغمة الشباب":

بكى بدماء على حظـه رجاءًا من الله رفع الضرر

فيارب حجل بفتح مبين وإلا بموت لذيذ يســـــر.[2]

ويقول أيضًا في نهاية قصيدته "يا قلبي":

يا إلهي منك الشفاء لشعبي رب رحماك أنت أنت الطبيب.[3]

ونجده يختتم قصيدته "في سبيل الحق" أيضًا بدعاء يقول:

ربّ عجل لبلادي بحـــــياة وجـــــلال

ربّ إن الروح مني ضاق من حرا الضرام.[4]

ونجد قصائد الشاعر أيضًا تزخر بأسلوب من أساليب الخطابة وهو أسلوب التكرار معبرًا من خلاله عن حالته النفسية وموقفه من الحياة، فنجده حاضرًا مثلاً في قصيدته "علام نلوم الدهر" يقول:

---

[1] محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وآثاره، ص 167.

[2] المرجع نفسه، ص 176.

[3] صالح الخرفي، محمود رمضان، ص 87.

[4] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 177.

قبيحٌقبيحٌ أن نسير مع الهوى ضلالاً وقد قامت علينا الدلائل

قبيحٌ علينا أن نرى في بطالة وننبذ ثوب الجدّ والغير عامل.[1]

فنجد الشاعر هنا يكرر كلمة " قبيحٌ" ستة مرات، ويريد من وراء توظيفه ذم الشعب الجزائري لحالة السكون والجمود التي آل إليها، عسى أن يتنبه الشعب لهذه الحالة.

ونجد التكرار حاضرً بقوة في قصيدته "دمعة على الأمة" يقول فيها:

بكيت ومثلي لا يحق له البكـــاء على أمـــــة مخلوقـــة للنوازل

بكيت عليها رحمـــة وصبابـــــة وإني على ذاك البكا غير نـــادم

بكيت على قومي لضعف نفوسهم على حمل أثقال العلى والفضائل.[2]

نجد الشاعر في هذه المقطوعة وفي بقية القصيدة يكرر فعل "بكيت" اثنا عشر مرة، ليتضح لنا مدى حزنه وحصرته على حال أمته وشعبه، ودالاً بذلك على حالته النفسية والشعورية اتجاه وطنه وشعبه.

ونلمس التكرار أيضًا في قصيدته "هل نهضة يا لقومي"، يقول:

[1] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 190.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وآثاره، ص 165.

هل نهضة يا لقومي يسر منها اللبيب

هل نهضة للمعالي بها الحياة تطيب

هل نهضة وثبات بها الشقاء يغيب

هل نهضة واجتهاد وعزمة وشبوب.[1]

فنجد الشاعر هنا يكرر عبارة "هل نهضة" أربع مرات، وحمل هذا التكرار في هذه الأبيات معنى الطلب، فهو يطلب ويدعوا الشعب الجزائري للنهوض من سباتهم، فلا سعادة ولا هناء إلا بالنهوض والاجتهاد.

أما في قصيدته "وحي الضمير" فنجده يكرر الصدر كاملاً ثلاث مرات على التوالي مبينًا من خلال هذا التكرار عن مدى ارتباطه وتعلقه بوطنه الجزائر ويؤكد عليه رغم ما يلاقيه من معاداة، يقول:

دعوني أناضل على أمة توارت حقوق لها بالحجاب

دعوني أناضل على أمة فضائلها بين ظفر ونـــاب

دعوني أناضل على أمة عليها توالت شرور الذئاب.[2]

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 206.

[2] المرجع نفسه، ص 188.

فالشاعر إذًا قد استخدم التكرار استخدامًا واسعً عن حالته النفسية وعن مواقفه وأهدافه في الحياة "فالشاعر من خلال تكرار بعض الكلمات والحروف والمقاطع والجمل يمد روابطه الأسلوبية لتضم جميع عناصر العمل الأدبي الذي يقدمه، ليصل ذروته في ذلك إلى ربط المتضافرات فيه ربطًا فنيًا موحيًا، منطلقًا من الجانب الشعوري ومجسدًا في الوقت نفسه الحالة النفسية التي هو عليها".[1]

3/أثر القرآن الكريم والثقافة العربية في شعر حمود:

لو عدنا إلى فترة الحركة الإصلاحية نجد شعراؤنا متأثرين تأثيرًا كبيرًا بالثقافة الإسلامية المتمثلة أساسًا في القرآن الكريم "وهكذا كان اتجاه زعماء الإصلاح إلى القرآن حتمًا مقتضيًا لأن فيه الدواء لما يشكون منه والحلول للمشاكل التي يتخبط فيها مجتمعهم، وفيه الغنية عما يطلبونه من الأساليب والبيان الذي يساعدهم على الرفع من مستواهم الأدبي وزادهم اللغوي"[2] أين كان للقرآن أثر كبير في نفوس الشعراء الإصلاحيين لما يحمله من معان وأفكار وتعاليم توجه الإنسان نحو الأفضل.[3]

ومادام رمضان حمود واحدًا من شعراء الحركة الإصلاحية نلمس تأثير القرآن الكريم في شعره، وهذا راجع فيما نحسب لنشأته الدينية، فلو عدنا إلى شعره نجده يستلم مجموعة من معاني وأسس الثقافة الإسلامية في شعره، فنجده مثلاً يدعوا إلى الجهاد والقرآن الكريم بدوره

---

[1] مدحت الجبار، الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، دار المعارف، مصر، ط2، 1995، ص 47.
[2] محمد ناصر بوحجام، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث (1925-1975) ج1، ص 28.
[3] ينظر، المرجع نفسه، ص 41.

تضمن عدة آيات تدعوا وترغب في الجهاد، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[1]

ويقول أيضًا: ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾2

وشعر حمود بدوره نجده يتضمن دعوات مريحة للجهاد والنضال، يقول مثلاً في قصيدته "فحياة العز بالعلم الثمين":

لن ينال العز شعبٌ كالجماد فاقد الإحساس خال من شعور

لن ينال المجد شعبٌ بالرقاد يترك اللّب ويعنى بالقشـــــور

إنما المجد قرينٌ بالجهـــاد ووئام وثبات في الظهـــور.[3]

ويقول في نفس القصـــيدة:

وقيام بفروض للبلاد ونضال ثم بالسعي الخطير.[4]

ويقول في قصيدته "اطلبوا العز وعيشوا كرماء":

---

[1] سورة الحجرات، الآية 15.

[2] سورة التوبة، الآية 44.

[3] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 171.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

اطلبوا العز وعيشوا كرماء إنما الحر كطير في الفضاء

لا تملّوا لا تميلوا أبـــــدً إنما النصر حليف البسلاء.[1]

ومن بين المعاني الدينية أيضًا التي استلهمها "حمود" من شعره "الوحدة"، فالقرآن الكريم كان حريصًا على وحدة المسلمين وتضامنهم، لهذا نجده يوجه دعوات إلى الاتحاد والوفاق ونبذ ودفع كل ما يؤدي إلى الشحناء والافتراق، يقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2]

ويقول أيضًا: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[3]

وبعودتنا لشعر "حمود" نجده يبين خطورة الافتراق والنزاع، داعيً إلى نبذ الخصومات ونصح الشعب بالائتلاف والوفاق، يقول مثلاً في قصيدته "في سبيل الحق":

انصفوني يا لقومي وأطفئوا نار الجدال

واغرسوا فيكم وئامًا وامحقوا داء الخصام.[4]

ويقول في قصيدة أخرى:

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 185.

[2] سورة الأنفال، الآية 46.

[3] سورة النساء، الآية 59.

[4] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 87.

واجعلوا للوفاق فيكم مكانـــــا لتنالوا به المكان المنيعـــا

خير ودين فهل سمعتم شعوبًا أدركت بالشقاق مجدًا رفيعًا[1]

وبين في موضع آخر أنه لا سعادة إلا بالإئتلاف والوفاق والعكس صحيح، يقول في قصيدته "فحياة العز بالعلم الثمين":

خبروني ببلاد سعدت واستقلت باختلاف ونفاق

خبروني ببلاد شقيت باتحاد وائتلاف ووفاق

إلى قوله:

لا فراق بينكم فاتحدوا شعبكم فرد ودين مقتدر.[2]

وهكذا نحن نلمس إذًا مجموعة كثيرة من أسس وتعاليم الدين الإسلامي التي جاء بها القرآن الكريم في شعر "حمود رمضان" وهذا إن دل إنما يدل على نزعة الشاعر الدينية.

أما إذا عدنا إلى المعجم الشعري فنجد في شعره الإصلاحي، المعجم الديني حاضرً، فكلما أشرنا سابقًا أن الشعراء الإصلاحيين ذو نزعة دينية، وحمود رمضان هو واحد منهم، فنجده متأثرًا بالقرآن الكريم وهذا ما أثر على لغته الشعرية، فنجد مجموعة كبيرة من الألفاظ تنتمي للثقافة الإسلامية، ونورد في الجدول التالي ثلاث قصائد توضح ذلك:

---

[1] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 72.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 171-172.

عنوان القصيدة	الكلمات ذات البعد الديني
أهلاً وسهلا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم	العرش-جبريل- مهللاً-مبشرًا- ولادة الهادي- خير الشهور-الله-المؤمنون- محمد-الهدي-الكتاب- هدى الله-الكفار- النفاق-الصبر-الصدق-التبليغ-عناية الرحمن-صلى الإله-الأمين-أزكى-الصلاة- سنن النبي-الفضيلة-الرسول-القرآن- الفجور-أنبيائنا-الدعاء-الرحيم-حسن الختام
إلى شبابنا المتنورين	الهدى-المكارم-الدين-النبي-الكتاب المسبوك-محمد-شريعة الإسلام-الآيات- الأخلاق-العلم-صلاحة الإسلام-مواعظ الإسلام-الصبر-الضلال.
أقسام الناس	كفرتهم-الصلاح-الدين-دين العقل-النصر- رحمة الله-الذنب-ملحد-ضلال-اتقوا الله- اجمعوا شملكم-إماماً-النفاق-سبيل الحق- الخبيث-شر الخلق-السلام-سبيل الله-عباد الله.

فمن خلال هذا الجدول نستنتج الحضور الواسع للألفاظ ذات البعد الديني في شعر حمود رمضان وهذا إن دل إنما يدل على تشبعه بالثقافة الدينية الإسلامية، ويعود هذا إلى عاملين أساسيين هما نشأة الشاعر المحافظة وهذا ما أثر شخصيته وأعماله، إضافة إلى نظرة الشعراء إلى الدين والقرآن، فقد جعلوا الدين هو الأساس في إصلاح المجالات الأخرى (السياسية، الاجتماعية...).

ونجد في شعر "حمود" مجموعة من التناصات مع القرآن الكريم، فمثلا في قوله:

لو لم يكن في الكون رب واحد لتشاجرا وتقاتل الخصمان[1]

فهذا البيت نجده يتناص مع الآية الكريمة في قوله تعالى " لو كان فيهما آلهة غلا الله لفسدنا"[2]

ونلمسه أيضا في قوله من قصيدة "موت الغريب آية في البؤس":

ها هي الموت أطلقت من قيود قربت مني مثل حبل الوريد[3]

فنجد فالعجز يتناص مع قوله تعالى "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد"[4]

[1] محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وأثاره، ص 42.
[2] سورة الأنبياء، الآية 2.
[3] محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وأثاره، ص 174.
[4] سورة ق، الآية 16.

ونجد التناص حاضرا أيضا في قوله:

وحيثما كنتم ولوا وجوهكم وجهدكم شطر شمس العلم واندفعوا[1]

فنجد هذا البيت يتناص مع قوله تعالى " قد نرى تقلب وجهك في السماء فنوليك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره"[2]

ويقول أيضا في قصيدة "علام نلوم الدهر":

قبيح عليكـــم أن تردوه خائبـــا وفي الذكر أن الله للخلق قائل

فإن تنصروني غنني خير ناصر وإن تقتلوني فالقا والبلابـــــل[3]

ونجده هنا يتناص مع الآية الكريمة "يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"[4]

إلى جانب تأثير الشاعر بالثقافة الإسلامية نجده متأثرا أيضا بالثقافة العربية وعلى رأسها الأدب العربي القديم، وهذا طبيعي فإن شعار الحركة الإصلاحية إحياء التراث، وحمود رمضان واحد منهم، إذ كان شديد المطالعة يقول حمود " عن ولوعي بالمطالعة في كثير من الفنون كبير وبالأدب خاصة أكبر، حتى إنه أهمل دروسي في بعض الأوقات ابتعاد

[1] محمد ناصر ، رمضان حمود، حياته وآثاره، ص 42.

[2] سورة البقرة، الآية 144.

[3] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 90-91.

[4] سورة محمد، الآية 07.

مرضاته"[1] فنجد حمود في شعره يقتبس من أثار فحول الشعراء، فمثلا نجده في قصيدته " نعم الجدود ولكن بئس ما تركوا" يأخذ بيتا شعريا للمتنبي في قوله:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام[2]

ونجده أيضا معجب بلامية الطغرائي، إذ يقول:

أعانق الحق في قول وفي عمل وأنهض القوم إن مالوا على الكسل

فلا أداهن قومي إن هم اقترفـوا ذنبا يلابس وجه الحق بالخجـــل

ولا أعيش بأرض الذل مكتئبـــا فالذل من شيمة الأنذال والسفـــل

وأبذل النفس في سبل الحياة فدى ولا أعول في الدنيا على رجـــل[3]

فعجز البيت الأخير متناص مع عجز بيت الطغرائي الذي يقول:

وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل[4]

إلى جانب هذا التناص نجد القافية واحدة والبحر واحد.

ويتناص أيضا مع اللامية في قصيدة "إليك يا محرر وادي ميزاب" يقول:

فسر ودع قول من حسنت مقاصده في طلعة الشمس ما يغنيك عن رجل[5]

---

[1] محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وأثاره، ص 107.

[2] المرجع نفسه، ص 127.

[3] المرجع نفسه، ص 167.

[4] المرجع نفسه .ص169

[5] محمد ناصر، حمود رمضان، حياته وأثاره، ص 42.

ونجده أيضا يضمن بعض الأمثال العربية الشهيرة يقول مثلا:

هناك لا تجدي ندامة نادم على الواقع الكسلان يتسع الثقب[1]

فهو يضمن المثل العربي القائل "اتسع الحرق على الواقع"

وقوله أيضا:

منهاجه آية للناس ساطعة وهو أشعر من نار على قلل[2]

فهو يضمن المثل القائل: "أشعر من نار على علم"

وأيضا نجد الشاعر في القليل من الأحيان يستعمل بعض الألفاظ التي تنتمي إلى المعجم الشعري القديم مثل لفظة "الضرام" في قوله:

واتخاذي الحق دينا بين أقــوام طغـــــام

رب إن الروح مني ضاق من حر الضرام[3]

نجده أيضا في قصيدة "الرجل بنفسه"يستعمل لفظة الحمل يقول:

فهاته غايتي بالجد أبلغها وأبتني منزلا في دارة الحمل[4]

وما يمكننا قوله أن "حمود رمضان" في شعره كان متأثرا بالتراث العربي والإسلامي من خلال اهتمامه بالقرآن الكريم واستلهامه في شعره معنا ومبنى، وأيضا ما أخذه وضمنه

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 43.

[2] المرجع نفسه، نفس الصفحة

[3] المرجع نفسه ، ص 177.

[4] المرجع نفسه .ص178

من التراث الأدبي العربي، وهذا ما يمكن لنا شخصيته المتمسكة بمقومات الأمة العربية والإسلامية.

4.الالتزام:

يعد الالتزام من أهم وأبرز سمات الشعر الإصلاحي، والتزام معناه، "أن يتقيد الأدباء في أعمالهم الفنية بمبادئ خاصة وأفكار معينة يستلزمون بالتعبير عنها والدعوة إليها وأن يكون الأديب صاحب رسالة في التنبيه والشرح والتوجيه، بحيث لا يسمح لشاعريته أن تحيد عنها، أم أن يكون مشاركا لأصحاب تلك المبادئ والدعوات الإصلاحية في نشر دعواتهم ولتسكن لنا في القلوب والعقول"[1]

فمن خلال هذا التعريف نجد أن الشاعر هو صاحب رسالة في المجتمع والأمة ، يبعث بها إلى الأمة والشعب، محاولا من خلالها التربية والتوجيه والإرشاد وكلها أهداف لا ينبغي للشاعر أن يحيد عنها.

"وحمود رمضان" يعتبر شاعرا ملتزما، فقد كان صاحب رسالة في مجتمعه وشعاره في ذلك:

في سبيـــــل الله والحـ ق ندائـــي وفعـالي

في سبيل الدين والشعـ ب هيامي وغـرامي

[1] بدوى طبانة، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ للنشر، الرياض، ط1، 1954، ص 15.

في سبيل الشرف والإسـ لام حبي واشتـغالي

في سبيل العز مـــا لا قيت والمجد المضام[1]

يبين الشاعر من خلال هذه الأبيات هدفه ورسالته في مجتمعه وأمته، فنجده ملتزما بقضايا وطنه والأمة الإسلامية جمعاء.

ورمضان حمود والشعراء الإصلاحيون ككل يعتبرون أن " الشعر رسالة مقدسة يقوم بها الشاعر لأداء واجبه في خدمة المجتمع، ونصرة القضايا العادلة يحارب بها الذل والاستعزام، ويرد بها الظلم والطغيان"[2]

فالشعراء في تلك الفترة تيقنوا للدور الهام الذي يلعبه الشعر في النهوض بالمجتمعات والأمم وهو بمثابة السلاح الذي يرفع في وجه العدو.

فيجب على الأدباء والشعراء أن يسايروا عصرهم ويتماشوا معه" فإن لكل جيل أدب مخصوص به، لا ينبغي للجيل الذي يأتي بعده أن يخلده فيه، فحياة الأمس غير حياة اليوم، وحياة اليوم غير حياة الغد"[3] ذلك أن لكل عصر ولكل زمان ظروفه ومعتبراته، فظروف القرن العاشر مثلا ليست نفسها ظروف القرن العشرين وظروف القرن العشرين لن تكون نفسها في القرن الخامس والعشرين، فعلى الشعراء أن يلتزموا بقضايا وظروف عصرهم وغلا فإنهم سيكتبون لأنفسهم وذواتهم.

---

[1] محمد ناصر، حمود رمضان، حياته وأثاره، ص 176-177.

[2] محمد بن قاسم ناصر بوحجام، دراسات عن الأدب الجزائري الحديث، ص 233.

[3] محمد ناصر، رمضان حمود، الشاعر الثائر، المطبعة العربية غرداية، ط1، 1975، ص 115.

ونجد " رمضان حمود" يريد أن يتحول الشعر من اهتمامه المسرف بالصنعة لشكلية إلى اهتمام أكثر بالمضمون..... مضمون يستوعب واقع الأمة العربية المضطهدة ويتغنى بآلامها وآمالها ، وأن الأولى بالشعراء أن ينصرفوا عن هذا الشعر الذي يخدم الخواص وأرباب القصور إلى شعر يقود الجماهير ويهتم بقضاياهم.[1]

والشاعر الحقيقي في نظره هو "الذي يكون صورة صادقة لنفسه ولعمره، والانتقاد في إبداعه إلا لصوت الضمير".[2]

و"رمضان محمود" يركز في مقالاته على أهمية الدور الذي يؤديه الشعراء في النهوض وإيقاظ النفوس والضمائر، فهم لسان مجتمعهم وأمتهم، بل هم حتى عماد الأمة وأساسها.

فيقول: "الشعراء روح الشعوب فإذا نصحوا لها سارت وتقدمت، وإذا فانوها فالسقوط والاضمحلال حظها، وأما السبيل الذي يسلكه شعرائنا وأدباؤنا اليوم مملوء بالتخلق والتمشدق بالألفاظ الضخمة الرمانة، والسعي وراء إرضاء الخواص فغايته الويل والبوار". [3]

فالشاعر في نظر "حمود" هو مفتاح الأمة وأساسها في النهوض والتقدم، فالشاعر من خلال شعره يؤدي دورًا بارزًا في نصح الشعب وإرشاده، وإذا حاد هذا الشاعر عن هذا الدور وهذه الوظيفة فسيكون مصير الأمة البؤس والشقاء.

---

[1] محمد ناصر، حمود رمضان، حياته وأثاره، ص 62-63.

[2] ينظر، محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 130.

[3] محمد ناصر، رمضان محمود حياته وآثاره، ص 63.

ويجب على الشاعر أن ينظم شعره ليؤدي وظيفة وغاية وهي وظيفة الإصلاح والتقويم، ويقول "حمود": "الشعراء بذور الحياة ومؤسسواالنهضات، لو لم تكن للشاعر ميزة إنسانية لكفته فخرًا، والشاعر هو الذي يعلم الناس كيف تستمر الحياة، والشاعر لا ينتصر لحزب دون آخر، لكن يجب أن يكون أداة إصلاح وأب المجتمع".[1] فنجد "حمود" هنا ينزل الشعراء منزلة عظيمة رافعًا من شأنهم، وعزز مكانتهم في المجتمع استنادًا على الدور الذي يجب أن يؤديه وهو الإصلاح والإرشاد.

ونجده يخاطب الشعراء قائلاً: "فيا أيها الشعراء الأحداث، بكم تحيى الأمة وبكم تموت –لا قدر الله- فأنتم رسل الحرية والسعادة الأبدية إن شئتم وأنتم النعاة إن أردتم"[2]. وهنا يدعوا الشعراء المحدثين إلى الاهتمام بآمال وآلام شعبهم وأمتهم، فالأمة تسعد بشعرائها، وتشقى وتذل بهم أيضًا.

ويقول أيضًا في تحديده للشاعر الحق: "الشعراء الحقيقيون الناظرون إلى بلادهم ومستقبلهم نظر الشحيح إلى فلسه، والجيان إلى حاجته، لا نظر الصبي إلى لعبته وملهاته، والكريم إلى نفسه وماله، هم الذين يهيؤون تربية صالحة للخلق من بعدهم. ويعلمون الأمة كيف وبما وإلى أين تسير، وينفخون فيها ريح الاستقلال، والحياة الجديدة الحقة، ويرمون الاستبداد بألسنة حداد رغم الاضطهاد والقوة والجبروت".[3]

---

[1] محمد ناصر، رمضان محمود، الشاعر الثائر، المطبعة العربية، غرداية، الطبعة 1، 1978 ص 259.

[2] محمد ناصر، حمود رمضان، حياته وآثاره، ص 64.

[3] المرجع نفسه، ص 133.

من خلال هذا القول نجد الشاعر الحقيقي في نظر "حمود" هو الذي:

- يعمل على التربية والتوجيه؛
- تنبيه الأمة وإرشادها بما تسعد وبما تشقى؛
- شحذ الهمم وإيقاظ الضمائر والنفوس؛
- محاربة الظلم والاستعمار.

فإذا التزم الشاعر بهذه المبادئ وهذه الأهداف سمي شاعرًا حقيقيًا.

ونجد "حمود في مقالاته ينتقد بعض الشعراء وتحديدًا "أحمد شوقي" كونه يكتب شعرًا لا يمد بصلة إلى العصر الذي يعيش فيه، ويقول: "وأكثر شعره أقرب إلى العهد القديم منع إلى القرين العشرين، الذي يحتاج إلى شعر وطني قومي سایاسي حماسي، يجلب المنفعة ويدفع الضرر، ويحرك همم العاملين، ويوقظ الراقدين الخامدين"[1]. فيجب على الشاعر أن يكتب شعرًا يتماشى مع العصر الذي يعيش فيه، فالقرن العشرين قد شهد مجموعة من التغيرات والتطورات السياسية والاجتماعية متمثلة أساسً في استعمار واحتلال الدول العربية، فمثل هذه الأوضاع تحتاج إلى شعر شوري حماسي، وليس شعر غزلي أو هجائي مثلاً.

وينصح "حمود" الشعراء بالكتابة في الأغراض التي يجب عليهم أن ينظموا فيها، فيقول: "فمن شاء منكم التشطير فاليشاطر مواطنيه في الأمور العظام والأعمال الجليلة، ومن أراد المعارضة فاليعارض الخونة سماسرة السوء ويعاكسهم في أعمالهم الخبيثة، ومن له

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 126.

عزام بالاقتداء، فليقتد أجداده الكرام وأسلافه العظام في آبائهم ونخوتهم وعزهم وقوتهم وسلطاتهم وإيمانهم وإنسانيتهم وجميع خصالهم الحميدة، ومن تعلقت نفسه بالمدح، فاليمدح الأخلاق الفاضلة وينشرها بين قومه ويتشبث بالفضيلة، ومن يصل إلى الهجاء، فاليهج العوائد الفاسدة ويذم الرذيلة بأنواعها، ومن يحب التغزل، فاليتغزل في وطنه الجميل الذي يعيش فيه ويأكل خيراته".[1]

وإذا عدنا إلى شعر "حمود رمضان" نجده ملتزمًا بقضايا وطنه وأمته، يكتب على آمال وآلام مجتمعه، محاولاً إيجاد حلول لها، ومن المواضيع البارزة التي اهتم بها "حمود" في شعره موضوع "الأخلاق، فمحمود رمضان وجل شعراء الحركة الإصلاحية يحثون على التمسك بالأخلاق الفاضلة "فهم يتصورون رسالة الشاعر إصلاحية توجيهية وتعليمية، وقد يبلغ بهم الحد إلى اعتبار الشاعر قدوة ومثال يحتذى به، لذا كان لزامًا عليه التمسك بمكارم الأخلاق".[2]

فبعد تفشي الآفات الاجتماعية بمختلف أنواعها في المجتمع الجزائري، كان لزامًا على "حمود" أن يدعوا إلى مكارم الأخلاق، يقول:

---

[1] محمد ناصر .رمضان حمود حياته وآثاره، ص 119.

[2] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 70.

لا ينال الحياة إلا القديـر وكريم الأخلاق ليث هصـــور

زينوا عملكم بفضل وخلق ليس ببلى السري وتبلى الأمور

إنما الناس بالمكارم تحيا وتموتون بالخنا والفجـــــور.[1]

ونجده أيضًا يدعوا وينصح الشعب الجزائري بالنهوض والاستقامة من السبات الذي يعيشونه، إضافة إلى تنبيههم لخطورة الجهل على المجتمع والأمة، يقول:

يا كرام الناس قوموا من سبات لا يليق

انبذوا الجهل وروموا كل علم، واستفيقوا

انبذوا ذاك التوانـــي وافعلوا فعل الرجال.[2]

وحب الشاعر الكبير لوطنه دفع به إلى تشديد اللوم والعتاب على كل متقاعس في أداء واجبه نحوه، وإلى صب غضبه إلى كل من يحبس نفسه غلى التضحية من أجله يقول:

لن ينال العز شعب كالجمـاد فاقد الإحساس خال من الشعور

لن ينال المجد شعب بالرقـاد يترك اللـــب ويعنى بالقشـــور

أي شعب ساد في هاتي الدنى بجمـــود وخمـــول وكســـل.[3]

---

[1] صالح الخرفي، حمود رمضان، ص 73.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وآثاره، ص 167.

[3] المرجع السابق، ص 171.

ونتيجة للوضع الديني في الجزائر إبان تلك الفترة، توجه الشاعر إلى الحث على المحافظة على الدين الحنيف وعلى العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

فلا سعادة ولا هناء إلا بالمحافظة على الدين والالتزام بتعاليمه، يقول:

ثم صونوا بما لديكم دينـــا كان دين الإله ديناً متينا

وارجعوا للكتاب فهو ضياء وسناء ومرشد الحائرينـــا

وإلى سنة الرسول المفـدى لو أتى غيره لأمسى دفينا.[1]

نجد محمود أيضًا يتفاعل ويساير الأحداث التي تحدث في تلك الفترة. نضرب مثالاً على ذلك، قصيدة "شلت يد الجاني" التي نظمها حين سمع بالسطو الفظيع على كرامة الأستاذ "عبد الحميد بن باديس" من قبل المحتل، يقول:

عش سالمًا عبد الحميد من البلا قد خابت الأنذال وهي كتائب

عش كالهلال سمـــاؤه وعلـــوه والكل حولك أنجم وكواكـــب

عش سائرًا نحو الأمام ودم ولـو هطلت عليك مصائب ونائب

عش ناصرًا للحق وارع ذمامـــه حتى تتم ما عليه تطالـــب.[2]

[1] صالح الخرفي، محمود رمضان، ص 72.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وآثاره، ص 200.

فمن خلال ما قلناه يتبين لنا أن "حمود رمضان" من أكبر الشعراء الملتزمين فقد كان صاحب رسالة نضالية توجيهية، ملتزمًا بذلك بمظاهر وظروف العصر والبيئة والحياة العامة المحيطة به.

خاتمة

بعد انتهائنا من هذه الدراسة المتواضعة، والموسومة بـ "النزعة الإصلاحية في الشعر الجزائري الحديث" ممثلة في شعر "حمود رمضان"، أين عملنا على إبراز حظور هذه النزعة في الشعر الجزائري الحديث وفي شعر حمود خاصة، وأهم السمات البارزة التي ميزت هذا النوع من الشعر، خلصنا من خلالها إلى جملة من النتائج وهي كالآتي:

- يعتبر الشعر لدى رجال الحركة الإصلاحية سلاحا يرفع في وجه الأعداء.
- تغير مفهوم الشعر في فترة الحركة الإصلاحية فأصبح الشعر عندهم أداة ورسالة نضالية.
- أصبح الشعر عند شعراء الحركة الإصلاحية يحمل وظيفة التوعية والإرشاد والدعوة والإصلاح.
- ظهور أسماء لامعة اتخذت من التوجه الإصلاحي منهجا لها من أمثال عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، محمد العيد آل خليفة و حمود رمضان وغيرهم.
- اشتد الشعر الإصلاحي أكثر بظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- الشعر عند "حمود رمضان" رسالة مقدسة، وله وظيفة وجب على الشاعر تأديتها.
- استعمل "حمود" قصائده في إرشاد الشعب إلى الطريق الصحيح، وحثه على النهوض والاستفاقة من السبات.
- وظف حمود شعره سلاحا يرفعه في وجه العدو، يجاهد ويناضل به.
- يركز الشاعر في إصلاحه على الجانب الديني الذي هو أساس الرقي ونيل المراتب والمعالي.
- يبدو تأثر رمضان حمود واضحا بمدرستي الديوان والمدرسة الرومنسية.

- ركز "حمود" على استعمال لغة شعرية سهلة وواضحة تتلائم مع طبيعة ومستوى المتلقي وظروف العصر.
- لقد اصطبغ شعر "حمود" بصبغة النزعة الخطابية، وهذا حال جل الشعراء الإصلاحيين، فالشعر عندهم كان من وسائل التواصل يحاولون من خلاله الإقناع والاستمالة.
- يعد "حمود" من الشعراء الملتزمين، فنجده يعبر عن آلام وهموم وآمال شعبه، باحثا له عن دواء للداء الذي يعاني منه.
- يبدوا أثر القرآن الكريم واضحا في شعر "حمود" وهذا يعكس نزعته الدينية.
- كان لموضوع محاربة الجهل والاهتمام والدعوة إلى العلم نصيب وافر في شعر "حمود" ففي نظره لا سعادة ولا هناء إلا بالعلم والتعلم.
- يعد شعر "حمود رمضان"مرآة عاكسة لعصره ولحالة شعبه ومجتمعه.

هذه هي أهم النتائج والملاحظات التي أمكننا التوصل إليها ورصدها في نهاية هذه الدراسة، ونتمنى أن تكون دراستنا المتواضعة هذه قد حققت ولو جزءا بسيطا من الفائدة، وأن نكون قد أصبنا فيما قصدنا ولله الحمد والثناء على توفيقه لنا.

قال تعالى: " ومن يتق الله يجعل له مخرجا " الطلاق -2-

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.

1/ المصادر:

ديوان محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1992.

2/ المعاجم

1.الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، المجلد الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003.

2.ابن منظور، لسان العرب، الجزء 3، دار صادر ، بيروت، الطبعة 3، 1414هـ.

3.أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الثالث، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008.

4.جبران مسعود، الرائد (معجم ألفبائي في اللغة العربية والأعلام)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2005.

3/ المراجع:

أ/ الكتب:

1.أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط 5، 2007.

2.أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 2005.

3. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1930-1945، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط4، 1992.

4. أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى.

5. أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1985.

6. أحمد عيساوي، أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر، دار الكتاب الحديث، القاهرة ، ط1، 1433هـ.2012 م.

7. إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط5، 2016.

8. إيليا حاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

9. بدوى طبانة، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ للنشر، الرياض، ط1، 1954، ص 15.

10. حميدة بنت حفيظ قادوم، دراسات في الشعر الحديث والمعاصر، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2018.

11. د.حسن علي أحمد، الأدب الإسلامي وقضاياه المعاصرة، دار هبة النيل العربية للنشر والتوزيع مصر، ط2، 2008.

12. رابح لونيسي، بشير بلاح، العربي لمنور، تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1989، دار المعرفة، الجزائر دط.دت.

13. سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، دار الواحة للكتاب، الجزائر، 2013، د ط.

14. سليمان كاصد، عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية)، دار الكندي للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت،.

15. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2002،.

16. صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1984.

17. صالح الخرفي، "حمود رمضان"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1985.

18. عبد الله الركيبي، الأعمال الكاملة، الشعر الديني الجزائري الحديث، مجلد 1، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، 1432-2011.

19. عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، 1931-1945، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، ط1، 1981.

20. عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج 3، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983.

21. د.عمار طالبي، أثار ابن باديس، الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بودواو، الجزائر، الطبعة الثالثة، 1997.

22. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار العروبة، بيروت، ط3، 1972.

23. علي ابن ظافر الأزدي، شرح شواهد التلخيص، ج 2، المطبعة البهية، مصر، د ط، 1316هـ.

24. عبد الرحمن تبرماسين، البنية الإيقاعية في القصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003، ص 194.

25. العربي دحو، إطلالات مقارب الأدب الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط .دت.

26. عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخير، تحقيق توفيق شاهيني، محمد صالح رمضان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1979م

27. الدكتور فهمي توفيق، محمد مقبل، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، دط.دت.

28. د. كمال عجالي، الفكر الإصلاحي في الجزائر، الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد، شركة مزوار للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 2005، .

29. محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط2، 2007.

30. محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006، ص 276.

31. محمد ناصر، حمود رمضان حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط2، 1985.

32. محمد ناصر، رمضان محمود، الشاعر الثائر، المطبعة العربية، غرداية، الطبعة1، 1978.

33. محمد ناصر بو حجام، أثر القرآن الكريم في الشعر الجزائري الحديث (1925-1976) ج1، المطبعة العربية، غرداية،ط1.1992.

34. محمد بن قاسم ناصر بوحجام، دراسات عن الأدب الجزائري الحديث، نشر جمعية التراث القرارة، الجزائر، ط1، 1432هـ - 2011م.

35. محمد بن سمينة، محمد العيد آل خليفة، دراسة تحليلية لحياته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

36. محمد بن سمينة، صفحات من إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الوطنية الحديثة، دار مدنيدط.دت.

37. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، الجزائر، د ط، 2007.

38. محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2002 .

39. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة بيروت، ط1، 1982.

40. محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، 1900-1962دط .دت.

41. محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، 1954-1964، دار الأمة الجزائر، 1996.

42. محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، د ت، دط،.

43. مدحت الجبار، الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، دار المعارف، مصر، ط2، 1995.

44. د.نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير (سابق397.مرجع

45. نور الدين أبو لحية، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، دار الأنوار للنشر، الطبعة الثانية، 2016، ص 348.

ب/ الرسائل والمطبوعات العلمية

1. أحمد العياضي، مطبوعة علمية بعنوان –الشعب الجزائري الحديث- جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، د.س.

2. خالد أقيس، بنية الخطاب في شعر الحركة الإصلاحية، الشهاب نموذجً، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 2015-2016، ص 290.

3. عمارة حياة، الاتجاه الإصلاحي في شعر محمد العيدة آل خليفة، رسالة ماجستير، جامعة بلقايد، تلمسان، 2001-2001، ص 19-20.

ج/ المجلات

1. تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بم باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر، مجلة الثقافة، عدد 68، ص 36، نقلاً عن سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي

2. عبد الحميد بن باديس.مجلة الشهاب. مج14.ج5.4 عدد جوان.1938.

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان	
إهداء 1	
إهداء2	
مقدمة	أ-هـ
مدخل إرهامات ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر	7
الفصل الأول: ماهية الشعر الإصلاحي	
المبحث 01: مفهوم وخصائص الشعر الإصلاحي	21
1. ضبط المفاهيم	21
أ. النزعة لغة	21
ب.الإصلاح لغة	22
ج. النزعة الإصلاحية في الشعر	24
2. خصائص الشعر الإصلاحي	27
أ. اللغة الشعرية (التقريرية والمباشرة- البساطة والوضوح)	27
ب.النزعة الخطابية	32
ج. التناص (الديني والأدبي)	37

المبحث 02: محاور الشعر الإصلاحي	43
1. الإصلاح الديني	43
2. الإصلاح في المجال الاجتماعي	49
3. الإصلاح في المجال السياسي	54
المبحث 03: أهم أعلام الشعر الإصلاحي	57
1. عبد الحميد بن باديس	57
2. محمد العيد آل خليفة	62
3. البشير الإبراهيمي	69
الفصل الثاني (التطبيقي): النزعة الإصلاحية في شعر "حمود رمضان"	
المبحث 1: السيرة الذاتية والأدبية لحمود رمضان	80
1. نشأته وتعليمه	80
2. حياته الأدبية	83
المبحث الثاني: مجالات الإصلاح في شعر "حمود رمضان"	86
1. الإصلاح الديني	87
أ. الدعدوة إلى التمسك بالدين والدفاع عنه	87
ب.محاربة أصحاب البدع والخرافات	94

2. الإصلاح في المجال السياسي	102
أ. دعوة إلى النضال وشحذ الهمم	103
ب.نبذ الاختلاف والدعوة إلى الاتحاد	114
3. الإصلاح في المجال الاجتماعي	118
أ. نبذ الجهل والدعوة إلى العلم	118
ب.إصلاح حال الشباب	124
المبحث الثالث: خصائص الشعر الإصلاحي عند "حمود رمضان"	129
1. اللغة الشعرية (السهولة والوضوح-التقريرية والمباشرة- المعاجم الشعرية)	129
2. النزعة الخطابية (التكرار - الألفاظ-أسلوب الاستفهام)	139
3. أثر القرآن الكريم والثقافة العربية في شعره (القرآن على مستوى المعاني وعلى مستوى المعاجم – التناص الديني – التناص الأدبي)	148
4. الالتزام	157
خاتمة	166
قائمة المصادر والمراجع	169
فهرس الموضوعات	176

(_غ